الصحيفة
ASSAHIFA.COM

يوليـــوز 2025

الإيداع القانوني :
2023PE0011 /17/022
ردمـد : 7599 - 2820
مدير النشر : حمزة المتيوي
العدد 29 • الثمـن **10 دراهم**

بـورتـريـــه:

كريستوف لوكورتييه.. السفير الفرنسي «المُحارب» الذي أخرج العلاقة بين باريس والرباط من «سوء فهمٍ كبير»

18

ماذا استفاد المغرب من حروب "الجيل الجديد"؟

حرب أرمينيا وأذربيجان. حرب روسيا وأوكرانيا. حرب باكستان والهند. وحرب إيران وإسرائيل.

«بغيتلك الحبس»!

في 30 مارس 2015، شارك مصطفى الرميد، في لقاء بالرباط نظمه مركز «مالكوم كير كارنيغي للشرق الأوسط»، حول إصلاح منظومة العدالة في العالم العربي، والذي استحضر تجارب المغرب وتونس ومصر في سياق خاص وحساس، تحكمه مرحلة ما بعد «الربيع العربي»، وحينها كان أبرز ما جاء على لسانه هو أن الملك محمد السادس «لن يُقاضي أحدا، حتى من أساء إلى شخصه».

الرميد كان حينها وزيرا للعدل والحريات في حكومة كان يرأسها عبد الإله بن كيران، الذي أعطت صناديق الاقتراع لحزبه، العدالة والتنمية، الصدارة في انتخابات 2011 البرلمانية، الأولى من نوعها بعد حراك 20 فبراير وبعد الدستور الجديد آنذاك، وهو أيضا رجلُ قانون، اتضح مع مرور الوقت أنه كان يحظى بثِقة القصر، المؤسسة التي كانت ترى فيه حكمةً تُوازِنُ الاندفاع الزائد لابن كيران، الذي كان «لسانه يسبقه» كثيرا.

الرميد إذًا، كان ينقل رسالة واضحة إلى الجميع، مفادها، وكما قال ذلك بنفسه، هي عدم متابعة أي صحافي بتهمة تتعلق بإدلائه برأيه، مع اعتماد سياسة جنائية تتحاشى معاقبة الأشخاص الذين تحدثوا عن الملك، حتى لو أساؤوا إلى شخصه، ووفق وزير العدل حينها، فالمعنى واضح، وهو أن العاهل المغربي «لا يريد أن يقمع المغاربة»، لكنه يريد منهم أن «يحترموه».

تمرُ على هذه الرسالة 10 سنوات، كان فيها الكثيرون يأملون أن يستوعب الفاعلون العموميون مغزاها، وأن يعملوا على توسيع نطاق حرية التعبير تدريجيا، والقطع تماما مع محطات الردة. مقابل أن يبني الفاعلون في المجال الإعلامي والحقوقي مُناخًا صحيًا لممارسة مِهنية أفضل، تمتزج فيها الحرية بالمسؤولية. وكان الرهان أن يستوعب الجميع أن الرأي يجب ألا يؤدي إلى السجن، حتى ولو كان خاطئا.

لكن، يشاء القدر أن يأتي وزير آخر للعدل، اسمه عبد اللطيف وهبي، يُفترض أنه يحمل مرجعية تقدمية مُستمَدة من تنشئته السياسية والحقوقية اليسارية. ويعي جيدا معنى الحرية، استنادا إلى كونه، قبل الاستوزار، كان محاميًا مرت من بين يديه العديد من قضايا الصحافة والصحافيين، ويُميز تماما بين نص القانون وروحه، ليكون السبب في الحكم على صحافي بالحبس النافذ لعام ونصف، وتعويض بقيمة 1,5 ملايين درهم.

وعمليا، فإن مسار مُحاكمات الصحافيين والمدونين يُسائل الكثيرين بأسمائهم وصفاتهم، وليس وزير العدل وحده. فقبل حميد المهداوي كان هناك أشخاص حُوكِموا وسُجنوا لأنهم انتقدوا استمرار العلاقات بين المغرب وإسرائيل، في ظل حرب الإبادة المستمرة ضد الفلسطينيين في قطاع غزة، وأصبحت عبارة «خصوا يمشي للحبس»، تطارد كل من أدلى برأيه في موضوع ما، حتى لو كان مباراة في كرة القدم.

> **الرميد إذًا، كان ينقل رسالة واضحة إلى الجميع، مفادها، وكما قال ذلك بنفسه، هي: عدم متابعة أي صحافي بتهمة تتعلق بإدلائه برأيه، مع اعتماد سياسة جنائية تتحاشى معاقبة الأشخاص الذين تحدثوا عن الملك، حتى لو أساؤوا إلى شخصه، ووفق وزير العدل حينها، فالمعنى واضح، وهو أن العاهل المغربي: «لا يريد أن يقمع المغاربة»، لكنه يريد منهم أن «يحترموه».**

ولنوضح الأمور جيدا هنا، هذا الكلام ليس بالضرورة صك براءة لأي صحافي أو مُدون، لأننا ندري أن الممارسة الصحافية ليست بخير، وأنها في جميع الأحوال لها فضاءاتها المحددة بنص القانون، وأن التعبير عن الرأي عبر منصات التواصل الاجتماعي ينزلق كثيرا نحو الشعبوية الساذجة أو الاستنتاجات الوهمية، بل هناك من يقودهم حماس التعليقات ونشوة «اللايكات» إلى نشر دعوات مُخالفة للقانون والعقل والمنطق.

كل هذا معلوم بالضرورة، ويجعل الممارسة المهنية، أو التعبير الرصين عن الرأي، مهمة صعبة وسط مناخ من الشعبوية العاطفية الجارفة، لكن، هل يُعقل أن يرد إنسانٌ عاقل على عبارة شتم بطلقة نارية نحو الرأس مباشرة؟.. وهل من المنطقي أن تُعدَم المؤسساتُ والمسؤولونَ عنها الوسائلَ لرد الاعتبار أو تصحيح الأخطاء في حق من كتب جملة أو قال كلمة، حتى لا يُصبح من السجن بدّ؟.

والحقيقة أن هذه العودة الجارفة للمحاكمات وللعقوبات السجنية تجعلنا نعيش على وقع تناقض صارخ، فالمغرب اعتمد منذ 2016 القانون 88.13 المتعلق بالصحافة والنشر، الذي ألغى العقوبات السالبة للحرية في حق الصحافيين، لكن الكثيرين ينتظرون ما يسدلي به «خصومهم» في المجال الإعلامي من خارج أسوار المؤسسات الصحفية لمُتابعتهم جنائيا والمطالبة بسجنهم أو كسر عظامهم بغرامات فلكية.

هذه المفارقة أصبحت تعطي انطباعا خطيرا مفاده مؤسسات الدولة ليست على قلب رجل واحد، حتى لو كان التحليل الموضوعي للأمور يشي بأن الأمر يتعلق بقناعات أشخاص مُحددين لا بسياسة بلد بأكمله. ففي يوليوز من سنة 2024 شمل العفو الملكي بمناسبة عيد العرش 10 صحافيين ومدونين منهم من كانوا في السجون ومنهم من كانوا في حالة سراح، ولسخرية القدر فإن من أصدر البلاغ المُعلن عن العفو هو وزير العدل الحالي نفسه.

من حق وهبي، ولا شك، أن يتجه إلى القضاء إذا ما تضرر مما يُقال عنه في الفضاء العام، لكن، وهو يقاضي حميد المهداوي بتهمة «السب والقذف والمس بالحياة الخاصة»، كان بإمكانه، نظرا لمكانته الاعتبارية، ولكون صفة «وزير العدل» لصيقة به بالضرورة، أن يطلب درهما رمزيا، كما فعل الكثيرون غيره، بدل إنزال «أقصى العقوبات» وتعويض قدره 10 ملايين درهم، كما طلب دفاعه أمام المحكمة.

في تقرير «مراسلون بلا حدود» الصادر قبل نحو شهرين، وهو بالمناسبة الأول بعد العفو الملكي عن الصحافيين والمدونين، تقدم المغرب 9 مراتب على سلم حرية الصحافة، ليصبح في الرتبة 120 عوض 129 قبل ذلك بعام، لكن الفقرات المتعلقة بالمملكة حملت انتقادات غير قليلة، من بينها نصاً أن «وزير العدل عبد اللطيف وهبي كثّف المتابعات القضائية ضد الصحافيين خلال هذه السنة».

لذلك، يُستحسن لو تناسى كل من يستهويهم سماعُ نُطق القضاة بأحكام السجن في حق الصحافيين والمدونين، ذواتهم قليلا، وأن يعوا بأن المغرب، الذي يستثمر الكثير لتغيير الصور النمطية المترسخة عنه في أفق احتضانه لكأس العالم 2030، والذي ستكثُر خلاله المقارنات مع شريكيه الأوروبيين في التنظيم إسبانيا والبرتغال، موضوعٌ تحت المجهر خارجيا أكثر من أي وقت مضى، أما داخليا، فإن ترسيخ فكرة «بغيتلك الحبس» لكل من نختلف معه، ليست في مصلحة أحد، ومفعولها العكسي سيء جدا.

> حمزة المتيوي

UNE PRÉSENCE FORTE EN PRINT & EN DIGITAL

#assahifa_english
ASSAHIFA
#assahifa
www.assahifa.com
ANDROID APP ON Google Play
Download on the App Store
الصحيفة ASSAHIFA.COM

المديـر العـام
خالد البرحلي

الشريك المؤسس
محمد حكمون

مدير النشر
حمزة المتيوي

مديرة التسويق والعلاقات العامة
أمال المتوكل

إدارة التحرير
محمد سعيد أرباط
خولة اجيعفري
أمال الصبهاني

متعاونون
عمر الشرايبي
المهدي هنان
عبد الغفور ضرار

للإعلان في الصحيفة
Ads@assahifa.com
+212 (0) 6 61 45 39 86

للتواصل مع الإدارة
contact@assahifa.com

المقر الرئيسي للمجموعة
شارع النخيل، حي الرياض، الرباط

الطبـع : ماروك سوار

توزيـع : سوشبريس

ماذا استفاد المغرب من حروب «الجيل الجديد»؟

حرب أرمينيا وأذربيجان. حرب روسيا وأوكرانيا. حرب باكستان والهند. وحرب إيران وإسرائيل.

الصحيفة من الرباط

كان وصول عام 2020، الذي انطلقت معه العشرية الثالثة من القرن الحادي والعشرين، بداية مرحلة صعبة جدا على البشرية، ليس فقط بسبب جائحة «كوفيد 19»، الأسوأ منذ مائة عام، والتي تسببت في 7 ملايين وفاة مؤكدة على الأقل، وأدت إلى شلل شبه تام في الاقتصاد العالمي، وإنما أيضا لأن تلك السنة كانت مؤذنة بانطلاق سلسلة من الحروب والصدامات العسكرية التي غيّرت، بدرجات متفاوتة، خريطة العالم، ولا زالت مستمرة في ذلك.

وإلى جانب حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة المستمرة منذ السابع من أكتوبر 2023، والحروب الأهلية، التي انتهت في سوريا، مثلا، أو التي لا زالت مستمرة، في السودان وليبيا وغيرهما، كانت هناك صدامات عسكرية واجهت فيها الجيوش النظامية للدول بعضها البعض، في معارك ظلّ بعضها مؤجلا لعقود، إذ كان العالم يحاول تفاديها حتى لا يتحول الأمر إلى كارثة جديدة، قد يدفع الجميع ثمنها، بشكل ما، دون اعتبار للعامل الجغرافي أو السياسي.

الكثير من تلك المواجهات، على غرار الحرب بين أذربيجان وأرمينيا حول إقليم ناغورنو كاراباخ في 2020، ثم الحرب الروسية الأوكرانية المستمرة منذ 2022، والصراع العسكري بين القوتين النوويتين الهند وباكستان في أبريل الماضي، وصولا إلى الصدام العسكري بين إيران وإسرائيل، الذي انضمت إليه الولايات المتحدة الأمريكية لمساندة حليفتها العبرية على تحقيق أهدافها، أثبتت أن عوامل جديدةً باتت تحسم الصراعات التي يمكنُ لأي بلد أن ينزلق إليها لسبب أو لآخر.

الملك محمد السادس يقلد أوسمة ملكية لقيادات عسكرية.

<<
قوة الاستخبارات العسكرية، تسليح متطور مبني على الصواريخ الباليستية والتفوق الجوي، ودبلوماسية مرنة وضاغطة

إذا كان العمل الاستخباراتي قد أضحى أشبه بـ «البلدوزر» الذي يمهد الطريق لأي مواجهات مستقبلية، فإن محاولة فهم قدرات المغرب في هذا الباب، على المستوى العسكري، تظل محدودة، بالنظر إلى عدم وجود ساحة معركة مادية يبرز فيها عملُ هذا النوع من الأجهزة في وقت الصراع المسلح

وقد يكون المغرب، كما تصفه العديد من التقارير الدولية، «استثناءً» من حيث الاستقرار السياسي والأمني وسط أمواج الاضطرابات المتلاطمة في الفضاء المغاربي ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ككل، رغم قربه الجغرافي من عديدِ الأزماتِ الإقليمية، بما في ذلك سلسلة الانقلابات والنزاعات العسكرية وأنشطة الجماعات المسلحة في منطقة الساحل، لكن الجميع يعلم أن إمكانية دخول القوات المسلحة الملكية في مواجهة عسكرية، مطروحة ومنطقية.

في هذا الملف، وانطلاقا من الملفات الحدودية والأمنية غير المحسومة بالنسبة للمغرب، وفي مقدمتها ملف الصحراء، والتلويح العلني والمتكرر بـ «الحرب» من طرف الجزائر، تحديدا، نحاول أن نفهم كيف تستعد المملكة لما هو قادم، استنادا لتجارب الصراعات العسكرية الأخرى، وما إذا كانت الرباط قد أعادت النظر في خياراتها الدبلوماسية واستعداداتها الدفاعية وأنشطتها الاستخباراتية، حتى تكون مُتأهّبة لجميع الاحتمالات إذا ما دقت ساعة الصفر.

ياسين المنصوري مدير الإدارة العامة للدراسات والمستندات وعبد اللطيف حموشي المدير العام للأمن الوطني ومراقبة التراب الوطني، وناصر بوريطة، وزير الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة بالخارج

اختراقات صامتة

إذا ما عدنا إلى الصراع العسكري بين إيران وإسرائيل الذي انطلق يوم 13 يونيو 2025، باعتباره آخر الصدامات التي هددت بإدخال العالم في حرب جدية ذات أبعاد إنسانية وأمنية واقتصادية خطيرة، نجد أن ما جعل الضربات الجوية الإسرائيلية الأولى حاسمة، هو عامل المُفاجأة والدقة في تحديد المواقع واستهدافها، وهو أمر تأكّدَ على لسان مسؤولين رفيعي المستوى من تل أبيب وطهران، أنّ ما وقف خلفه هو عملٌ استخباراتي طويل.

مباشرة بعد انتهاء الهجوم الإسرائيلي، كان المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية، علي خامنئي، يُعلن مقتل العديد من قادة الصف الأول العسكريين، أبرزهم اللواء حسين سلامي، قائد الحرس الثوري الإيراني، واللواء محمد باقري، رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة، واللواء غلام علي رشيد، قائد مقر خاتم الأنبياء العسكري، كما صفّت تل أبيب العديد من «عُقول» المشروع النووي الإيراني، من بينهم أحمد رضا ذو الفقار، أستاذ الهندسة النووية، والعالمان النوويان مهدي طهرانجي وفريدون عباسي.

كان الأمر يتعلق بعمل استخباراتي سبق التنفيذ العسكري، واستمر بعده، بشكل أكد أن طهران تُعاني من خلل فادح على هذا المستوى، وتأكد العالم من أنها رهينةُ «اختراق» مُزمن عندما نجحت إسرائيل، في 17 يونيو، في اغتيال اللواء علي شادماني، رئيس قيادة الطوارئ في القوات المسلحة الإيرانية، وأحد أبرز القادة العسكريين المقربين من المرشد الأعلى، بعد 4 أيام فقط من تعيينه، ثم قتلت سعيد إيزادي قائد وحدة فلسطين في فيلق القدس، الذراع الخارجية للحرس الثوري الإيراني، في 21 يونيو.

ورغم أنها بادرت إلى الرد العسكري، الذي كان الأعنف تجاه إسرائيل منذ عقود، إلا أن إيران بدت مرتبكة بخصوص الاختراقات الاستخباراتية التي كانت السبب المباشر وراء تصفية قادتها وعلماءها، وأضرت كثيرا، على أقل تقدير، بمشروعها النووي، وعلى الأرض شرعت في حملة اعتقالات ضد العشرات من المشتبه في كونهم يتجسسون لصالح تل أبيب، ونفذت حُكم الإعدام في آخرين بعد إدانتهم.

ووفق تعبير «مصدر أمني إسرائيلي»، كما نقله تقرير لشبكة CNN الأمريكية، فإن العملية «تطلبت قوات كوماندوز تعمل في عمق طهران وفي جميع أنحاء البلاد، مع تجنب الكشف عنها من قبل أجهزة الأمن والمخابرات الإيرانية»، وقال مصدر أمني إسرائيلي آخر إن عمليات «الموساد» استغرقت «سنوات من التحضير»، وشملت «جهودًا لجمع المعلومات الاستخبارية ونشر قوات كوماندوز تابعة للموساد في عمق خطوط العدو (إيران)»، وتابع «عملت بعض قوات كوماندوز الموساد في العاصمة الإيرانية نفسها».

عمل في السر ونتائج في العلن

إذا كان العمل الاستخباراتي قد أضحى أشبه بـ «البلدوزر» الذي يمهد الطريق لأي مواجهات مستقبلية، فإن محاولة فهم قدرات المغرب في هذا الباب، على المستوى العسكري، تظل محدودة، بالنظر إلى عدم وجود ساحة معركة مادية يبرز فيها عملُ هذا النوع من الأجهزة في وقت الصراع المسلح، باستثناء الضربات الجوية المتوالية في المنطقة العازلة ضد مسلحي جبهة «البوليساريو» الانفصالية التي انتهت بتصفية العديد من قياداتها الميدانية، بمن فيهم 4 شغلوا ما يُعرف بمهمة «قائد الناحية العسكرية السادسة»، الموجودة على خط المواجهة مع الجيش المغربي منذ ما يقارب 5 سنوات، وهي تحركات وصفتها الأمم المتحدة بـ «الأعمال العدائية منخفضة الحدة»، رغم تعبير الأمين العام، أنطونيو غوتيرش، عن «قلقه» تجاهها.

وفي المغرب تمثل المديرية العامة للدراسات والمستندات «لادجيد» جهازَ

المخابرات الخارجية والعسكرية الرئيس، وهو جهاز يُفضل العمل وسط الكثير من التكتم وبعيدا عن الأضواء. لذلك، فإن أردنا العودة إلى بعض نتائج عمله المعلن عنها بشكل رسمي، علينا العودة بأكثر من عقدٍ من الزمن إلى الوراء، وتحديدا إلى كلمة مديرها العام محمد ياسين المنصوري، أمام لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن، سنة 2014، حين كشف أن المغرب، منذ 2002، أحبط 119 من المخططات التفجيرية التي كانت تستهدف المقرات الأمنية والدبلوماسية والفضاءات السياحية ودور العبادة، وأفشل 109 عمليات اغتيال كانت تستهدف المسؤولين العموميين والسياح واليهود المغاربة، و7 محاولاتٍ لاختطاف الرهائن.

دور «لادجيد» الخفي تسنّى له البروز مرة أخرى في 11 دجنبر 2023 حين وشح الرئيس الروماني، جينها، كلاوس يوهانيس، محمد ياسين المنصوري، بالوسام الوطني «نجمة رومانيا» من درجة «ضابط كبير»، أرفع الأوسمة المدنية في البلاد، وذلك بعدما ساهمت مُديريته في إطلاق سراح رهينة روماني كان محتجزا في بوركينافاسو. وأوضحت الرئاسة الرومانية أن التوشيح يأتي كدليل على «التقدير العالي» لمساهمة الاستخبارات الخارجية للمغرب في «تعزيز الأمن الإقليمي».

وخارج الإطار العسكري، يبرزُ العمل الاستخباراتي المغربي بشكل أكثر وضوحًا، وأكثر قدرة على التأثير في مُجريات الأحداث، كما كان عليه الحال في أبريل من سنة 2021، في الصدام بين المغرب وإسبانيا الذي بات يُعرف إعلاميا بـ «قضية بن بطوش»، فنتيجةً لاتفاق بين وزير الخارجية الجزائري، حينها، صبري بوقدوم ونظيرته الإسبانية، أرانتشا غونزاليس لايا، دخل زعيم جبهة «البوليساريو» الانفصالية إبراهيم غالي، إلى الأراضي الإسبانية لتلقي العلاج، في عملية كان يُفترض أن تكون على أعلى درجة من السرية.

إلا أن الاستخبارات المغربية، وفق معطيات حصلت عليها «الصحيفة» في حينه، توصلت إلى السيناريو بالكامل، ومفاده أن زعيم «البوليساريو» وصل إلى إسبانيا عبر طائرة طبية رسمية تابعة للخطوط الجزائرية، تحت اسم مستعار هو محمد بن بطوش، ودخل بواسطة وثائق هوية مزورة تجعل منه دبلوماسيًا جزائريًا حاصلا على الحصانة، وعند نزوله في مطار سرقسطة العسكري، جرى نقله نحو مستشفى «سان بيدرو» في مدينة «لوغرونيو» عاصمة إقليم «لاريوخا»، كل ذلك من أجل تفادي مُحاكمته نتيجة مطاردته بعدة شكاوى من طرف صحراويين معارضين للبوليساريو، يتهمونه فيها بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، بما يشمل التعذيب والاغتصاب والتصفية الجسدية.

توصُّلُ المغرب إلى هذه المعطيات، ثم تسريبها إلى وسائل الإعلام، خلط الأوراق تماما، وأدخل العلاقات المغربية الإسبانية في أزمة هي الأسوأ منذ 20 عاما، حُشرت خلالها مدريد في الزاوية، إذ شرعت محكمتها الوطنية في مقاضاة غالي، ثُم أعفيت وزيرة الخارجية من مهامها، أما النتيجة الأبرز لهذا المسار الاستخباراتي، فكانت هي رسالة رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز، إلى الملك محمد السادس، في 18 مارس 2022، التي يعلن فيها، لأول مرة، دعم بلاده لخطة الحكم الذاتي في الصحراء تحت السيادة المغربية، باعتبارها «الأكثر جدية وواقعية ومصداقية».

العمل الاستخباراتي المغربي، ظهر أيضا في ماي من سنة 2021، حين أصدرت وزارة الخارجية بلاغا أعلنت فيه استدعاء سفيرة المملكة، زهور العلوي، من برلين، وفي النقطة الثانية منه كشفت أن «السلطات الألمانية تعمل، بتواطؤ مع مدان سابق بارتكاب أعمال إرهابية، ولا سيما من خلال الكشف عن معلومات حساسة قدمتها أجهزة الأمن المغربية إلى نظيرتها الألمانية»، في إشارة إلى السجين السابق محمد حجيب، الذي رصدت الرباط توصُّله بمعلومات حساسة من أشخاص يعملون لدى أجهزة رسمية هناك.

غير أن «لادجيد» ليست وحدها الجهاز الفاعل على هذا المستوى، فالنموذج الاستخباراتي المغربي يتيح للمخابرات المغربية الأمنية، ذات النشاط الداخلي بالأساس، مُمثلةً في المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني «ديستي»، بعض خطوط التماس مع العمل الاستخباراتي الخارجي والعسكري أيضا، وهو ما تأكد في يناير من سنة 2021، حين قدمت لأجهزة الأمن الأمريكية معطيات عن الجندي كول بريدجز، الذي وصفته بـ «المتطرف»، حيث كان يُخطط لتنفيذ «هجوم إرهابي يستهدف النصب التذكاري لـ 11 شتنبر في مانهاتن بنيويورك». وكان أيضا، وفق ما نشرته وكالة المغرب العربي للأنباء، الرسمية، يقوم بتسريب معلومات حساسة عن القوات الأمريكية في الشرق الأوسط إلى عناصر من تنظيم «داعش»، وهو ما دفع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA لتوجيه الشكر للمديرية، المغربية، وفي أكتوبر من سنة 2024، أصدر القضاء الأمريكي في حقه حكما بالسجن 14 سنة نافذة، تليها 10 سنوات من إطلاق السراح المشروط.

نشاط المديرية التي يوجد على رأسها عبد اللطيف حموشي، أفضى لتعاون أمني مع العديد من الدول والمؤسسات الأمنية الدولية، على غرار ما حدث في فبراير الماضي، حين أعلنت أنها، وفي إطار التعاون مع الشرطة الجنائية الدولية «الانتربول»، تمكنت من توقيف مواطنين فرنسيين مبحوث عنهما بموجب أوامر دولية بإلقاء القبض صادرة عن السلطات الفرنسية، لتورطهما في عملية القتل العمد التي استهدفت موظفين في مؤسسة سجنية فرنسية بتاريخ 14 ماي 2024، مما مكن من تسهيل هروب سجين فرنسي من أصول جزائرية، والذي تم توقيفه برومانيا، بعدها وجهت النيابة العامة الفرنسية الشكر للمغرب، الذي وصفته المدعية العامة الفرنسية، إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية ورومانيا، بـ «الشركاء» في تلك العملية الأمنية.

العمل الاستخباراتي والأمني المغربي دفع العديد من الدول إلى الاستعانة بحموشي، باعتباره مديرا عاما لمراقبة التراب الوطني والأمن الوطني، من أجل تأمين العديد من التظاهرات الكبرى، على غرار ما حدث مع قطر خلال كأس العالم 2022 وفرنسا في أولمبياد باريس 2024، وهو الأمر الذي دفع تلك الدول إلى توجيه رسائل شكر رسمية للرباط، كما كان الأمر بالنسبة لجهاز أمن الدولة القطري، والمديرية العامة للشرطة الفرنسية، وهو ما يدخل في إطار يُعرف بـ «الدبلوماسية الاستخباراتية والأمنية».

الفريق أول محمد بريظ المفتش العام للقوات المسلحة الملكية وقائد المنطقـــة الجنوبية أثناء التسليم الرسمي لمروحيات «الأباتشي» بالقاعـدة الجـــوية بسلا رفقة الجنرال مايكل لانغلي قائد القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا «أفريكوم».

> **العمل الاستخباراتي والأمني المغربي دفع العديد من الدول إلى الاستعانة بحموشي، باعتباره مديرا عاما لمراقبة التراب الوطني والأمن الوطني، من أجل تأمين العديد من التظاهرات الكبرى، على غرار ما حدث مع قطر خلال كأس العالم 2022 وفرنسا في أولمبياد باريس 2024، وهو الأمر الذي دفع تلك الدول إلى توجيه رسائل شكر رسمية للرباط.**

التفوق الجوي أولا

العودة إلى مسارات الحروب الأخيرة، وعلى الرغم من اختلاف سياقاتها ونطاقاتها الجغرافية وتأثيراتها الإقليمية، يُظهر أن هناك نقطة التقاء مركزية بينها جميعا، وهي أن التفوق الجوي النوعي يستطيع، بشكل حاسم، تغليب كفة طرف على آخر، وهو أمر تتصدر فيه الواجهة الأسلحة الأمريكية التي أثبتت أنها تسبق نظيرتها الأخرى بمراحل، في حين وجدت الطائرات المُسيرة والدفاعات الجوية القادمة من تركيا وإسرائيل والصين، أيضا، لنفسها موقعا في المعادلة.

هذا الأمر يمكن استنتاجه بالرجوع إلى مسار المعارك بين أرمينيا وأذربيجان، الذي أفضى إلى استعادة هذه الأخيرة السيطرة على إقليم ناغورني كراباخ. فالجيش الأذري، الذي كان يعتمد في السابق على ترسانة من الأسلحة السوفياتية، استبق مواجهة خصمهِ المعتمِد على أسلحة حليفه الروسي، بالتوجه إلى التكنولوجيات الجديدة التي توفرها أسواق أخرى، ففي شتنبر 2023 كشف تقرير لـ «فوربس» أن أذربيجان استخدمت مسيرات «هاروب» الانتحارية وصواريخ «باراك 8» من إسرائيل، ومسيرات بيرقدار TB2 التركية، وهي منظومة يمتلكها الجيش المغربي بالكاملة، باستثناء صواريخ «لورا» الإسرائيلية شبه الباليستية.

أما في الصراع العسكري بين الهند وباكستان، فمُفاجأة الساعات الأولى من الحرب كانت بلا منازع هي تمكن إسلام أباد، التي تعتمد على أنظمة دفاع جوي صينية، من إسقاط 5 طائرات مُقاتلة هندية في كاشمير، 3 منها من نوع «رافال» فرنسية الصنع، وواحدة من نوع «سوخوي - سو 30»، وأخرى من نوع «ميغ - 29»، وكلاهما روسيتان. والمثير للانتباه هو أن المغرب رفض اقتناء طائرات «رافال» مفضلا عليها F16 الأمريكية، في حين أن خصمه الإقليمي، الجيش الجزائري، يملك سربا من الطائرات الروسية من نوع «سوخوي - سو 30».

لكن يبقى النموذج الأبرز هو ما حدث في إيران ما بين 13 و22 يونيو 2025، فالبداية كانت عبارة عن ضربات جوية مفاجئة ومُسترسلة من طرف طائرات إسرائيلية، يُعتقد أنها من نوع F15 وF16 الأمريكية، تلاها الإعلان عن السيطرة على الأجواء الإيرانية بالكاملة، وفي اليوم الموالي قال رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إن إسرائيل ألحقت «ضررا بالغا بالبرنامج النووي الإيراني»، في وقتٍ كان فيه سلاح الجو يواصل غاراته على عدة أهداف في إيران، هذه الأخيرة التي رد جيشها بصواريخ باليستية وأخرى فرط صوتية، ألحقت أضرارا غير معهودة بمدن إسرائيلية رئيسية، أهمها تل أبيب وحيفا وبئر السبع وريشون ليتسيون وبتاح تكفا.

لكن ما وضع «نقطة النهاية» للمشروع النووي الإيراني، على حد توصيف الرئيس دونالد ترامب على الأقل، كان هو التدخل الأمريكي في العملية التي أطلق عليها اسم «مطرقة منتصف الليل»، حين انطلقت 7 من طائرات B2 الشبحية العملاقة التي لا يرصدها الرادار، حاملة في المُجمل 14 صاروخا عملاقا، من ولاية ميسوري الأمريكية إلى الأجواء الإيرانية دون أي اعتراض، منها 6 توجهت إلى مفاعل «فوردو» بين جبال «شاه كوه» المبني تحت الأرض بعمق حوالي 100 متر، والذي بلغت نسبة تخصيب اليورانيوم داخله أكثر من 60 في المائة.

في ذلك الحين توجهت الطائرة السابعة إلى مفاعل «نطنز» لقصفه بقنبلتين، أما مفاعل «أصفهان» فتولت تدميره الغواصات الأمريكية، وفي غضون نصف ساعة، ما بين 2:10 و2:40 صباحا بتوقيت طهران، كانت الصواريخ العملاقة الخارقة للتحصينات GBU-57 وقاذفات «توماهوك» قد أنهت الحرب عمليا دون أي خسائر في صفوف القوات الأمريكية، لدرجة أن ترامب قال إن العملية العسكرية نجحت بشكل «باهر».

هذه المعطيات، تجعلنا نفهم إحدى الدوافع الرئيسية لعملية التحديث الشاملة التي تقوم بها الرباط، بإشراف مُعلن من الملك محمد السادس، باعتباره القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية، على مستوى القوات الجوية، والاعتماد أساسًا على الطائرات والمروحيات القتالية المُصَنّعة أمريكيا، إلى جانب تنويع المُوردين بخصوص الطائرات المسيرة عن بُعد ومنظومات الدفاع الجوي، المُستقدمة من إسرائيل وتركيا والصين.

السلاح الأمريكي أولاً

بتاريخ 20 يناير 2025، نشر مكتب الشؤون السياسية والعسكرية التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، تقريرا عن التعاون الأمني بين الولايات المتحدة والمغرب، والذي أوضح أن المملكة هي أكبر مُشترٍ للأسلحة والمعدات الدفاعية الأمريكية في إفريقيا، بما مجموعه 8 ملايير و545 مليون دولار، مضيفا أنه منذ عام 2013، حصل المغرب أيضا على مُعدات عسكرية بقيمة 478 مليون دولار ضمن برنامج المعدات الدفاعية الفائضة EDA، وخلال الفترة من 2018 إلى 2022، وافقت واشنطن على تصدير معدات دفاعية دائمة إلى المغرب بقيمة تفوق 167 مليون دولار، من خلال برنامج المبيعات التجارية المباشرة، في مقدمتها تلك التي تتعلق بالإلكترونيات العسكرية، ومعدات التوجيه والسيطرة والاستشعار.

وتتضمن القائمة التي أعلنتها الخارجية الأمريكية، أسلحة وذخائر هجومية، من بينها 18 من راجمات الصواريخ عالية الدقة HIMARS التي يصل مداها إلى 300 كيلومتر، و40 وحدة من قنابل AGM-154C JSOW الموجهة القادرة على ضرب الأهداف المحصنة، والتي تتماشى مع طائرات F15 وF16، إلى جانب 10 صواريخ Harpoon GM-84L المضادة للسفن، و5810 قنبلة MK82-1، و20 وحدة من صواريخ AIM-9X-2

> **تتضمن القائمة التي أعلنتها الخارجية الأمريكية، أسلحة وذخائر هجومية، من بينها 18 من راجمات الصواريخ عالية الدقة HIMARS التي يصل مداها إلى 300 كيلومتر، و40 وحدة من قنابل AGM-154C JSOW الموجهة القادرة على ضرب الأهداف المحصنة**

الفريق أول محمد بريظ المفتش العام للقوات المسلحة الملكية وقائد المنطقـــة الجنوبية والجنرال مايكل لانغلي قائد القيادة العسكرية الأمريكية في إفريقيا «أفريكوم».

SIDEWINDERجو - جو الحرارية المضادة للطائرات، و20 من صواريخ AGM-65D MAVERICK عالية الدقة المضاد للدروع والمركبات الثقيلة.

أما بخصوص سلاح الجو، فتشمل القائمة 25 طائرة F-16 Block 72 المقاتلة متعددة المهام من الجيل الرابع، و36 مروحية أباتشي AH-64E الهجومية الثقيلة، و3 مروحيات CH- 47D شينوك المستخدمة في نقل الجنود والمعدات بسرعة داخل مناطق العمليات، وطائرة Gulfstream G-550 الاستطلاعية المزودة بأجهزة متقدمة للرصد الجوي والسيطرة الإلكترونية، وطائرتان C-130H للنقل عسكري والإنزال الجوي.

ووافقت واشنطن أيضا على تزويد المغرب بـ 6 أنظمة MIDS-JTRS للاتصالات التكتيكية التي تُؤمِّن تبادل المعلومات والبيانات بين الوحدات الجوية والبرية بكفاءة وسرعة، و8 وحدات منSentinel AN/MPQ-64F1 ، وهي رادارات متحركة لرصد الطائرات والصواريخ والدرونات، إلى جانب 222 دبابة M1A1 Abrams القتالية الرئيسية الثقيلة، وهي مدرعة بالكامل وتعتبر الأقوى عالميا، و600 ناقلة جنود M113A3 مدرعة التي يمكنها العمل وسط التضاريس الصعبة، و40 من قاذفات الصواريخ LAU-129A التي تعمل على متن الطائرات القتالية.

إلى جانب ذلك، شرع المغرب، منذ 2019 على الأقل، في ترقية وتطوير مجموعة من طائراته القديمة من طراز F15 و F16، بما يشمل تزويدها بمجموعة من التكنولوجيات الحديثة وأنظمة الاستطلاع، وآخر خطوة له مع الولايات المتحدة بهذا الخصوص، تعود إلى سنة 2024 حين أعلنت وكالة التعاون الأمني والدفاعي الأمريكية الشروع في تصنيع أنظمة الحرب الإلكترونية المتطورة Viper Shield التي تُنتجها شركةL3 HARRIS لإدماجها ضمن 24 طائرة مقاتلة من نوع F16، هذا المسار تلا سقوط طائرة مغربية من النوع نفسه سنة 2015، كانت مشاركة في عملية «إعادة الأمل» التي تلت عملية «عاصفة الحزم» العسكرية ضد الحوثيين في اليمن، ما أدى إلى وفاة الطيار الشاب ياسين بحتي، ذي 21ربيعا.

ولم يعد خافيا أن المغرب، المطالب بالتعامل مع الأطماع الجزائرية في الصحراء منذ 50 عاما، لدرجة تلويح رئيس أركان جيشها، السعيد شنقريحة، بالحرب بسبب ذلك، والذي لديه نزاعات حدودية مع إسبانيا شمالا حول سبتة ومليلية والجزر المتوسطية، يسعى إلى تحقيق تفوق نوعي على مستوى سلاح الجو منذ سنوات، لذلك، فإن تركيزه حاليا منصب على الحصول على طائرات F35، قبل إسبانيا، وبما يضمن له كذلك التوفر على أكثر الطائرات القتالية كفاءة، في مواجهة الجيش الجزائري الذي أعلن أنه سيتوصل بمقاتلات SU-57 الشبحية، أحدث طائرات «سوخوي» الروسية.

في بداية 2025، اتفقت تقارير إعلامية إسرائيلية وإسبانية على هذا الأمر، لكن في يونيو الماضي سيتأكد بشكل أكبر، حين أورد تقريرٌ لصحيفة «تايم آيرو سبايس» المتخصصة في مجال الطيران المدني والعسكري، أن وفدًا عسكريا مغربيا اطّلع بشكل مباشر على القدرات التقنية لمقاتلة F35 الأمريكية، ما يعزز احتمال أن يكون المغرب من بين أوائل الدول العربية التي ستحصل على هذه الطائرة من الجيل الخامس خلال السنوات المقبلة، في خطوة قال المصدر نفسه إنها «أثارت قلق الجزائر».

وأوضح التقرير أن شركة «لوكهيد مارتن» الأمريكية قدمت للوفد المغربي عرضا تفصيليا حول الخصائص التكنولوجية المتقدمة للطائرة، مشيرًا إلى أن هذه الخطوة تندرج في إطار مساعي المغرب لتعزيز تفوقه الجوي ومواكبة التحولات الحاصلة في موازين القوى الإقليمية، وأضاف أن الأمر يتعلق بصفقة محتملة لاقتناء 32 طائرة F35، والتي لم تُبدِ إسرائيل اعتراضا عليها، على اعتبار أن المغرب ليس من دول الطوق، وتُقدَّر القيمة الإجمالية للصفقة بـ17 مليار دولار، تشمل تكاليف الشراء والصيانة والدعم اللوجستي على مدى 45 عاما.

المثير للانتباه أيضا، ضمن هذا المسار، هو الاستقبال العلني الذي خصه المغرب لمروحيات أباتشي AH-64E، والذي غطته وكالة الأنباء المغربية الرسمية، وذلك عند وصول 6 وحدات منها إلى القاعدة الجوية الأولى بسلا في 5 مارس 2025، بحضورقائد القيادة الأمريكية في إفريقيا «أفريكوم»، الجنرال مايكل لانغلي، والمفتش العام للقوات المسلحة الملكية وقائد المنطقة الجنوبية، الفريق أول، محمد بريظ، الذي أورد أن الأمر يتعلق بـ «نقلة نوعية في مسار تعزيز الشراكة الاستراتيجية والتعاون العسكري القوي بين المملكة المغربية والولايات المتحدة الأمريكية»، وأضاف أن إدماج هذه المروحيات في المنظومة العسكرية المغربية، «سيُعزز قدرات الدفاع بشكل أفضل عن وحدتنا الترابية والمساهمة بشكل فعال في تحقيق السلم والأمن»، في إشارة صريحة إلى قضية الصحراء.

وكان من الواضح أن المغرب يريد أن يعطي لهذا الحدث حجما كبيرا على المستوى الرسمي والإعلامي، لذلك حضره الوزير المنتدب لدى رئيس الحكومة المكلف بإدارة الدفاع الوطني عبد اللطيف لودي، رفقة وزير الصناعة والتجارة رياض مزور، والوزير المنتدب لدى وزيرة الاقتصاد والمالية المكلف بالميزانية فوزي لقجع، إلى جانب الفريق أول محمد هرمو قائد الدرك الملكي، والفريق الجوي محمد كديح مفتش القوات الملكية الجوية.

هذا الأمر يجد تفسيره في كون الحدث يتعلق بتنزيل عَملي للشراكة المتنامية مع واشنطن في الجانب العسكري، وللتحالف الاستراتيجي بين البلدين الذي اتخذ مسارا جديدا مع توقيع الرئيس ترامب، الذي تمت صفقة الأباتشي في ولايته الأولى ونُفذت في الثانية، مرسوما رئاسيا يعترفُ بالسيادة المغربية على الصحراء في دجنبر 2020، وهو ما يمكن أيضا فهمه من خلال تصريحات الجنرال لانغلي الذي أورد أن هذه الخطوة تؤكد «متانة الشراكة مع المغرب باعتباره حليفا رئيسيا من خارج حلف الناتو»، وقال مخاطبا الجيش المغربي «إن الجيوش الإفريقية تُتابعكم وتقتدي بكم»، وتابع أن المملكة أضحت تشكل «مرجعا في مجال الدفاع والاستقرار».

> **شرع المغرب، منذ 2019 على الأقل، في ترقية وتطوير مجموعة من طائراته القديمة من طراز F15 وF16، بما يشمل تزويدها بمجموعة من التكنولوجيات الحديثة وأنظمة الاستطلاع**

الدرونات: تنوع المصادر

الطائرات المقاتلة والمروحيات الهجومية ليست الوحيدة التي يعتمد عليها المغرب في إحداث فارق على مستوى سلاح الجو في محيطه الإقليمي، فالقوات المسلحة الملكية باتت، منذ نحو 5 سنوات، الأكثر بروزا من حيث امتلاك طائرات مُسيرة عن بُعد، والتي اتضح دورها الفعال بالأساس بعد التدخل الميداني في الكركارات، وإعلان جبهة «البوليساريو» الانفصالية الانسحاب من اتفاق وقف إطلاق النار الموقع مع الأمم المتحدة سنة 1991، إذ أضحت اللاعب الأبرز في عمليات استهداف الشاحنات والسيارات المُحملة بالمُسلحين التي تدخل المنطقة العازلة في محاولة للوصول إلى الجدار الأمني.

وعلى المستوى الرسمي، لا تتحدث الرباط عن عدد أو نوعية الطائرات المسيرة التي تتوفر عليها، لكن تجميع المعطيات المتوفرة في هذا الباب من مصادر متخصصة مختلفة، يؤكد أن الأمر يتعلق بمسيرات إسرائيلية من نوع WanderB و ThunderB، المُصَنّعة من طرف شركة BlueBird والتي تمتلك الحكومة العبرية أغلبية أسهمها عبر شركة صناعات الفضاء الإسرائيلية IAI، إذ حصلت الرباط على 150 وحدة منها سنة 2022 وفق تقرير لمنصة Defence Procurement International المتخصصة في الشأن الدفاعي، إلى جانب مسيرات انتحارية من نوع SpyX و Harop.

ومن تركيا، حصلت الرباط على طائرات مسيرة من نوع بيرقدار TB2، الصفقة الأولى والمؤكدة منها بلغت قيمتها 59 مليون دولار وتتعلق بـ13 طائرة بدأ المغرب في استلامها منذ 2021، وهو أمر أفصحت عنه القوات المسلحة الملكية بشكل ضمني في حينه، عندما نشرت صورا لتلك المسيرات داخل إحدى قواعدها الجوية، وفي يناير الماضي أكدت شركة «بايكار» المُصنعة لتلك المسيرات، استمرار تزويد المملكة بها، حين أعلنت أنها سلمت للرباط وحدات منها في غشت 2024 دون الكشف عن تعدادها، علما أن المؤسسة كانت قد أعلنت أيضا، في 2023، أن الرباط توصلت منها بمسيرات أخرى من نوع «أكينجي».

سعي الرباط لتقوية منظومتها العسكرية الجوية، جعلها توجه أنظارها لسوق غير تقليدي بالنسبة لها لكنه أثبتَ كفاءة متزايدة، ويتعلق الأمر بالصين، وللمفارقة، فإن الاعتماد عليها كان أسبق من تركيا وإسرائيل، إذ حصلت الرباط على مسيرات Wing Loong 1 منها سنة 2015، ثم في 2024 تأكد حصولها على النسخة الأكثر تطورا Wing Loong 2، التي ظهرت وهي تحلق في سماء الصحراء انطلاقا من القاعدة الجوية في العيون، أما آخر الصفقات فهمت مسيرات TB-001K والتي تتميز بقدرتها على حمل ما يصل إلى طن ونصف من الذخيرة، إضافة إلى قدرتها على التحليق المستمر لمدة تصل إلى 40 ساعة، وفق ما أعلن عنه حساب «الصين بالعربية» على موقع «إكس» والتابع لخارجية بيكين.

الأنظمة الدفاعية: من أمريكا إلى الصين

إلى جانب الطائرات المقاتلة والمسيرات، تبرز أنظمة الدفاع الجوي التي تعتبر حائط الصد الرئيس أمام الهجمات الصاروخية والدرونات الانتحارية، الأمر الذي تأكد خلال الصراع الإسرائيلي الإيراني الأخير، فإذا كان من المؤكد أن الترسانة الصاروخية الإيرانية التي تُصنف ضمن الأكثر تطورا في منطقة الشرق الأوسط، تسببت في دمار غير معهود داخل المدن العبرية، فإن هذا الدمار كان وقعه ليكون أشد بكثير، لولا الاعتماد على 3 أنظمة دفاعية متطورة، وهي «ثاد» الأمريكية الصُنع، و «مقلاع داود» و «القبة الحديدية» الإسرائيليتان.

وبخصوص هذا الأخير، نقلت صحيفة «واشنطن بوست» عن مسؤولين إسرائيليين وشركات تعمل في المجال الدفاع، في تقرير تحت عنوان «الدفاع الجوي الإسرائيلي ضد إيران، الشرح» نُشر بتاريخ 20 يونيو 2025، أن نسبة نجاحه وصلت إلى 90 في المائة، علما أن صحيفة «غلوبس» وشبكة i24 العبريتان قالتا، في مارس 2022، إن وزارة الأمن الإسرائيلية «وافقت» على تزويد المغرب بهذا النظام، إلى جانب رادار «غرين باين» ومنظومة الصواريخ «حيتس» المضادة للهجمات الصاروخية.

وعَمليا، وبتكتم رسمي شبه تام، مضى المغرب بخطوات سريعة نحو اعتماد أنظمة جديدة للدفاع الجوي، تُصنف ضمن الأكثر كفاءة عالميا، إحداها، والتي خلقت فَرقًا صريحا في موازين قوى، منظومة «باتريوت» الأمريكية الحديثة Pac-3 MSE، التي وافقت إدارة التجارة الدولية ووزارة الدفاع الأمريكيتان على بيعها للرباط سنة 2021، وأعلنت شركة «لوكهيد مارتن» المُصَنِّعة جزئيا لهذه المنوظمة إلى جانب «رايثون»، أن تسليمها سيبدأ في سنة 2022.

> **بتكتم رسمي شبه تام، مضى المغرب بخطوات سريعة نحو اعتماد أنظمة جديدة للدفاع الجوي، تُصنف ضمن الأكثر كفاءة عالميا، إحداها، والتي خلقت فَرقًا صريحا في موازين قوى، منظومة «باتريوت» الأمريكية الحديثة Pac-3 MSE، التي وافقت إدارة التجارة الدولية ووزارة الدفاع الأمريكيتان على بيعها للرباط سنة 2021، وأعلنت شركة «لوكهيد مارتن» المُصَنِّعة جزئيا لهذه المنوظمة إلى جانب «رايثون»، أن تسليمها سيبدأ في سنة 2022.**

وفي مارس من سنة 2025 انتشرت فيديوهات لنقل 3 منصات إطلاق تنقلها شاحنات عسكرية مغربية نحو إحدى القواعد الجوية، وقال موقع Army Recognition المتخصص في الشأن العسكري حينها، إن الأمر يتعلق بالنسخة الأحدث من هذه المنظومة، وتمتاز بقدرتها على اعتراض الطائرات على مسافة تفوق 160 كيلومترا، والتصدي للصواريخ الباليستية التكتيكية على مدى يتجاوز 35 كيلومترا، بفضل رادار متطور يغطي 360 درجة، باستطاعته تتبع أكثر من 100 هدف في وقت واحد.

لكن باتريوت ليست منظومة الدفاع الجوية بعيدة المدى الوحيدة التي يتوفر المغرب عليها، ففي يناير الماضي أظهرت صور حديثة أن المغرب توصل بدفعة جديدة من بطاريات وصواريخ المنظومة الدفاعية الجوية BARAK-MX بعيدة المدى التي يصل ثمنها إلى 500 مليون دولار أمريكي، في إطار صفقة بين القوات المسلحة الملكية وشركة صناعات الطيران والفضاء الإسرائيلية IAI، ويتعلق الأمر بنموذج متطور من طراز «باراك 8»، يصل مداه إلى 150 كيلومترا، وفق معطيات المرصد الأطلسي للدفاع والتسليح، المتخصص في الشأن العسكري، الذي أورد أن المنظومة تم تسليمها بالكامل إلى الجيش المغربي، علما أن الاتفاق بين الطرفين تم سنة 2022، وبدأ التسليم انطلاقا من 2023.

زيارة وفد من القوات المسلحة الملكية لقاعدة أمريكية في ألمانيا لتفقد منظومة «الباتريوت».

قيادات من الجيش المغربي ونظرائهم من الجيش الأمريكي أثناء تجريب راجمات الصواريخ «هيمارس» في تدريبات «الأسد الإفريقي».

لكن أولى أنظمة الدفاع الجوي بعيدة المدى التي ثبتها المغرب على أراضيه، لم تكن أمريكية ولا إسرائيلية ولا حتى فرنسية، بل قادمة من الصين. ويتعلق الأمر بـ FD-2000B وهي النسخة المعدة للتصدير من منظومة HQ-9B الدفاعية والتي تصنعها شركة «نورينكو»، إذ وصلت إلى المملكة في 2021 بعدما طلبها المغرب سنة 2017. وجرى تثبيتها بقاعدة عسكرية بمنطقة سيدي يحيى الغرب على بعد 60 كيلومترا من الرباط. ويتعلق الأمر بمنظومة تعتمد على صواريخ SAM ويصل مداها إلى 250 كيلومترا، وهي قادرة على اعتراض الطائرات التقليدية، بالإضافة إلى التصدي للصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة.

والمؤكد، من خلال معطيات الشركات المصنعة والتقارير المتخصصة في المجال الدفاعي، أن المغرب اختار تنويع منظوماته الدفاعية عبر التعامل مع العديد من الدول، إذ نجد أنه أيضا اقتنى منظومة SHORAD الفرنسية التي تعتمد على صواريخ VL MICA قصيرة المدى التي تصل إلى مسافة 20 كيلومترا، والتي تستهدف الطائرات والمسيرات، إلى جانب منظومة SPYDER التي تُنتجها شركة «رافائيل» الإسرائيلية. وهي متوسطة المدى وتصل صواريخها إلى مسافة 50 كيلومترا، بالإضافة إلى Sky Dragon 50 الصينية من «نورينكو» ذات المواصفات المُشابهة، والتي تطلبت انتقال ضباط مغاربة إلى الصين للتدرب على استخدامها.

وإذا كان اقتناء هذه المنظومات من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والصين وإسرائيل، خيارا استراتيجيا من طرف المغرب جرى تنزيله منذ بضع سنوات خلت، فإن المثير للانتباه هو إبقاء الباب مفتوحا أمام فكرة التعاون مع دول أخرى ليست ضمن خارطة الشركاء التقليديين للقوات المسلحة الملكية، وأبرزها روسيا، إذ بشكل غير متوقع كشفت وكالة الأنباء الحكومية الروسية «سبوتنيك»، في نونبر 2024، أن المغرب أبدى رغبته في اقتناء منظومة S - 400 للدفاع الصاروخي أرض - جو بعيد المدى، التي وصفتها بأنها «الأقوى في العالم»، والقادرة على تدمير الأهداف على مسافة 400 كيلومتر وعلى علو 30 ألف متر من سطح الأرض.

الرباط توجهت أيضا إلى كوريا الجنوبية، التي زارها، في أبريل الماضي، وزير الصناعة والتجارة رياض مزور، وحينها ذكرت تقارير إعلامية محلية أن الرباط تدرس اقتناء أسلحة ومعدات عسكرية متطورة من سيول، وأن المسؤول المغربي أبدى اهتماما خاصا بدبابة K2 Black Panther وغواصة KSS-III من طراز «دوسان آن تشانغ هو»، بالإضافة إلى نظام الدفاع الجوي متوسط المدى Cheongung KM -SAM، الذي تتولى صناعته شركة LIG Nex1 وتصل صواريخه إلى مسافة 40 كيلومترا.

الدبلوماسية قبل الحرب أحيانا

أثبتت مسارات الصراع بين أذربيجان وأرمينيا، وبين روسيا أوكرانيا، ثم بين الهند وباكستان، وصولا إلى الصدام الإيراني الإسرائيلي الأمريكي، أن العمل الاستخباراتي والتجهيز العسكري، ترافقه خطوةً بخطوة أمور أخرى لها أبعاد داخلية وخارجية قادرة على ترجيح كفة طرف على الآخر في العديد من المحطات، ففي الخفاء، تحاول الدبلوماسية إدارة الملفات قبل الوصول إلى مرحلة الصدام المسلح، مستعملة العديد من أوراق اللعب السياسية والاقتصادية والثقافية.

وبرز العمل الدبلوماسي كفاعل رئيس في تحويل مسار العديد من الصراعات، فخلال الحرب الأذرية الأرمينية مثلا، نجحت باكو في استقطاب دعم منظمة التعاون الإسلامي التي تضم 57 دولة، على اعتبار أنها عضو في المنظمة، لكن الموقف الأهم كان هو دعوة الأمم المتحدة بشكل صريح لاحترام «سيادة أذربيجان»، على الرغم من حثه الطرفين على التفاوض ووقف القتال، وهو ما كان بمثابة دعم لمَطالبها في إقليم كاراباخ.

> **المغرب، يعي أيضا أن الأولوية لحسم قضاياه الشائكة، وخصوصا ملف الصحراء الذي يُوصف على المستوى الرسمي بـ «القضية الوطنية الأولى»، ليست عسكرية، بل دبلوماسية، لذلك نجد أنهُ إلى غاية اللحظة، وعلى عكس «البوليساريو»، لا يتحدث عن العودة إلى «الحرب»، بل يعتبر أن «الاحترام الصارم لوقف إطلاق النار من قبل الأطراف الأخرى شرطٌ مسبق لمواصلة المسلسل السياسي»**

العمل الدبلوماسي لم يتوقف أيضا خلال أيام الصراع بين إسرائيل وإيران، مع دخول الاتحاد الأوروبي وتركيا والمملكة العربية السعودية على الخط، في محاولة للوساطة وإنهاء التصعيد المتبادل، إلا أن التنسيق الأمريكي الإسرائيلي، الذي اعتمد أسلوب الخداع الاستراتيجي، كان أكثر ما أثار الانتباه، إذ خلال الأيام التي سبقت الضربة الأمريكية على المفاعلات النووية الإيرانية، ظلت واشنطن تُسرب معطيات مُضللة مفادها أن تنتياهو وترامب ليسا على وفاق، لدرجة أن هذا الأخير أجرى مكالمة متوترة مع رئيس الوزراء العبري قبل الضربة، كما أن ساكن البيت الأبيض أعلن أنه لن يحسم خياره بخصوص إمكانية التدخل العسكري إلا بعد 15 يوما، قبل أن يفاجأ الجميع بعملية «مطرقة منتصف الليل».

المغرب، يعي أيضا أن الأولوية لحسم قضاياه الشائكة، وخصوصا ملف الصحراء الذي يُوصف على المستوى الرسمي بـ«القضية الوطنية الأولى»، ليست عسكرية، بل دبلوماسية، لذلك نجد أنهُ إلى غاية اللحظة، وعلى عكس «البوليساريو»، لا يتحدث عن العودة إلى «الحرب»، بل يعتبر أن «الاحترام الصارم لوقف إطلاق النار من قبل الأطراف الأخرى شرطٌ مسبق لمواصلة المسلسل السياسي»، كما جاء على لسان وزير الخارجية ناصر بوريطة، عند لقائه بالمبعوث الأممي إلى الصحراء، ستافان دي ميستورا، بنيويورك على هامش أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 29 شتنبر 2024.

بالموازاة مع ذلك، وبالتزامن مع استشعار الرباط عودة جدية الصدام مع الجزائر إثر حراك 2019 الذي أوصل إلى رئاسة البلاد عبد المجيد تبون، وإلى قيادة الجيش السعيد شنقريحة، كانت الرباط قد استبدلت أوراق اللعب الدبلوماسية في قضية الصحراء، حين شرعت في إقناع عشرات الدول بافتتاح قنصليات عامة لها في مدينتي العيون والداخلة، أولها كانت قنصلية جمهورية جزر القمر في 18 دجنبر 2019، تلتها العديد من البلدان ذات الثقل على المستوى الإفريقي، مثل الكوت ديفوار والكونغو الديمقراطية والسنغال، وأخرى عربية مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين والأردن، وصولا إلى نطاقات جغرافية غير تقليدية مثل هايتي التي افتتحت تمثيليتها الديبلوماسية في المنطقة في 14 دجنبر 2020، وغواتيمالا التي دشنت قنصليتها في 1 دجنبر 2022.

ومع أهمية مثل هذه الخطوات على المستوى الدبلوماسي وداخل أروقة الأمم المتحدة، فإن التحول الراديكالي في مسار القضية كان في 10 دجنبر 2020، أياما فقط بعد استعادة الجيش المغربي السيطرة على معبر الكركرات في 13 نونبر، وذلك عندما أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء عن طريق مرسوم رئاسي، مع الالتزام بتدشين قنصلية أمريكية في مدينة الداخلة، وهي الخطوة التي كانت بمثابة العد العكسي لاعتماد توجه دولي جديد، يدعم الطرح المغربي بصيَغ مختلفة، كما ساعد الرباط في الدخول في معارك «كسر عظام» مع دول كبرى لدفعها إلى الخروج من المنطقة الرمادية.

هذا المسار هو الذي أفضى إلى دعم ألمانيا في 2021 وإسبانيا في 2022، لمقترح الحكم الذاتي في الصحراء تحت السيادة المغربية، وعبره صارت فرنسا ثاني عضو دائم العضوية في مجلس الأمن يعترف بالسيادة المغربية على المنطقة سنة 2024، قبل أن تلحق بها المملكة المتحدة في 2025، وهو أيضا الذي أفضى إلى إعلان 22 دولة من أصل 27 بلدا عضوا في الاتحاد الأوروبي، دعمَ المقترح المغربي باعتباره الأكثر «جدية وواقعية ومصداقية»، وفق ما جاء على لسان بوريطة في أبريل الماضي من مدريد، خلال ندوة مشتركة مع نظيره الإسباني خوسي مانويل ألباريس.

الزخم الديبلوماسي المغربي كان أيضا وراء تغيير مواقف دُول كانت، تقليديا، داعمة للطرح الانفصالي، من مُنطلق اعتبار «البوليساريو» حركة تحررية، أو استنادا إلى العلاقات الوثيقة مع الجزائر أو جنوب إفريقيا في القارة السمراء، لذلك كان سحبُ بعض البلدان محدودة التأثير الدولي لاعترافها بالجبهة أو إقفال تمثيلياتها، حدثا دبلوماسيا مهما، مثل كينيا وغانا والإكوادور، وكذا بنما التي كانت أول دولة من أمريكا الوسطى تعترف بما يسمى «الجمهورية الصحراوية» سنة 1978، وأول بلد يستضيف «سفارة» لها سنة 1980، وسوريا مع سقوط نظام بشار الأسد الذي كان يستعين بـ«خدمات» مسلحي «البوليساريو» ضمن الميليشيات الداعمة له.

وفي سنة 2025، ومع عودة ترامب إلى البيت الأبيض لولاية جديدة، وعلى الرغم من أن الملفات ذات الأولوية الموضوعة على طاولته داخل المكتب البيضوي، تتمحور أساسا حول الصراعات في الشرق الأوسط، وإنهاء الحرب الروسية الأوكرانية، إلى جانب قضايا اقتصادية مثل الحرب التجارية مع الصين وجلب الاستثمارات الخليجية، إلا أن الدبلوماسية المغربية أصبحت تُظهر رغبة أكبر في المرور إلى السرعة القصوى من أجل حسم قضية الصحراء، خصوصا وأن واشنطن هي حاملة القلم في صياغة قرارات مجلس الأمن بخصوص هذا الملف.

هذه القناعة، كانت وراء رحلة بوريطة إلى واشنطن بتاريخ 8 أبريل 2025، للقاء نظيره الأمريكي ماركو روبيو. وبعدها ستُصدر الخارجية الأمريكية بيانا جاء فيه أن هذا الأخير «جدد التأكيد على أن الولايات المتحدة تعترف بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية وتدعم مقترح الحكم الذاتي الجاد والموثوق والواقعي الذي قدمه المغرب كأساس وحيد لحل عادل ودائم للنزاع»، وتابع «لا تزال الولايات المتحدة تعتقد أن الحكم الذاتي الحقيقي تحت السيادة المغربية هو الحل الوحيد الممكن».

المقطع الأهم في البيان، والذي حمل جديدا، كان هو الإعلان عن كون روبيو «أكد على أن الرئيس ترامب يحث الطرفين على الدخول في مناقشات دون تأخير باستخدام مقترح الحكم الذاتي المغربي كإطار وحيد للتفاوض على حل مقبول للطرفين»، وأشار إلى أن الولايات المتحدة «ستُسهّل إحراز تقدم نحو هذا الهدف»، بعد ذلك بأيام، وتحديدا في 14 أبريل 2025، سيُصرح السفير المغربي لدى الأمم المتحدة، عمر هلال، في حديث تلفزيوني بأن الولايات المتحدة الأمريكية تحذوها «إرادة واضحة لإنهاء نزاع الصحراء في إطار السيادة المغربية»، معربا عن أمله في أن يحتفل المغرب «مع جيرانه الجزائريين»، بالذكرى الخمسين للمسيرة الخضراء في نونبر المقبل بِطَيّ هذا النزاع بشكل نهائي.

إلا أن المعركة الدبلوماسية التي يخوضها المغرب داخل أمريكا، ليست على جبهة واحدة، وتصبو لما هو أبعد من حشد دعم الدول الكبرى لمقترح الحكم الذاتي، فرحلة بوريطة إلى واشنطن في أبريل الماضي لم يكن الغرض منها فقط لقاء روبيو أو مع مستشار الأمن القومي حينها مايك والتز الذي عُين بعد ذلك سفيرا لبلاده لدى الأمم المتحدة، ولكن أيضا للاجتماع بالعديد من أعضاء الكونغرس، وفي مقدمتهم النائب الجمهوري جو ويلسون، الذي أعلن، بتاريخ 26 يونيو 2025، قيامه بشكل مشترك مع النائب الديمقراطي جيمي بانيتا، تقديم مقترح قانون يُصنف جبهة «البوليساريو» منظمة إرهابية، وهو مسار تشريعي إن تم سيَجعل من الجزائر بلدا «يأوي الإرهابيين».

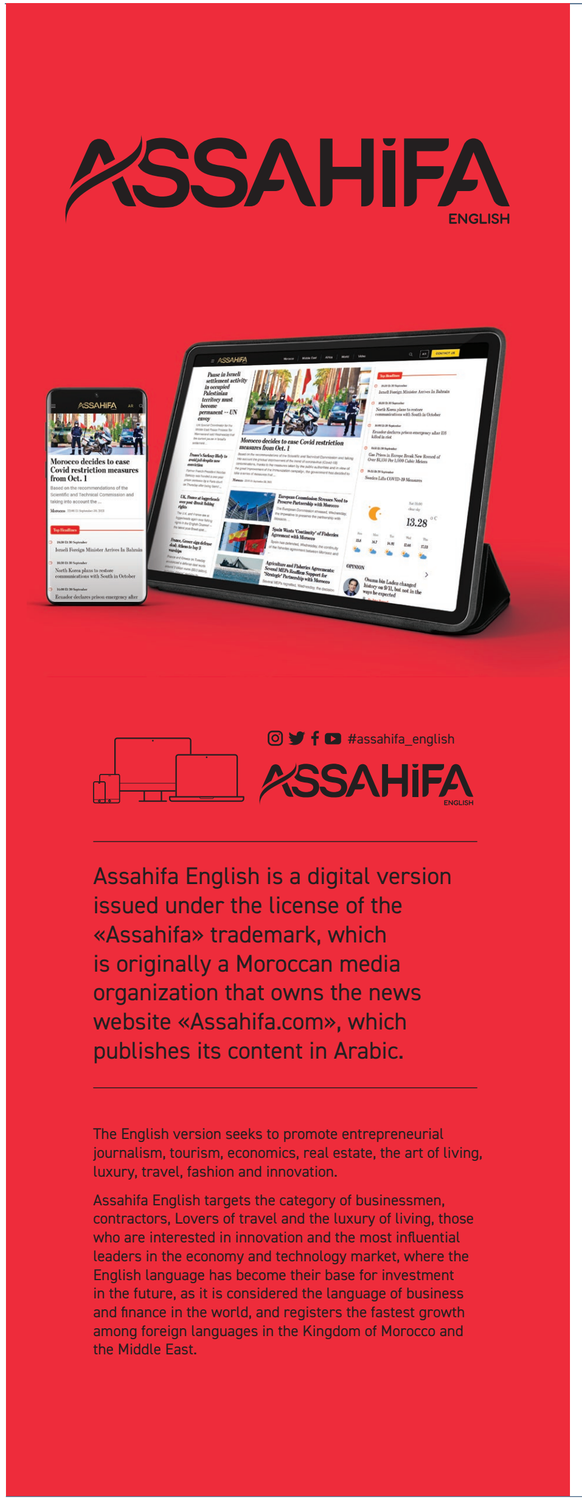

Assahifa English is a digital version issued under the license of the «Assahifa» trademark, which is originally a Moroccan media organization that owns the news website «Assahifa.com», which publishes its content in Arabic.

The English version seeks to promote entrepreneurial journalism, tourism, economics, real estate, the art of living, luxury, travel, fashion and innovation.

Assahifa English targets the category of businessmen, contractors, Lovers of travel and the luxury of living, those who are interested in innovation and the most influential leaders in the economy and technology market, where the English language has become their base for investment in the future, as it is considered the language of business and finance in the world, and registers the fastest growth among foreign languages in the Kingdom of Morocco and the Middle East.

حاوره من نواكشوط: محمد سيدي عبد الله

مصطفى سلمى ولد سيدي مولود في حوار خاص مع الصحيفة:

البوليساريو غير قادرة على مسايرة نزاع مسلح مع المغرب بخردة تمتلكها من بقايا القرن الماضي.. والجزائر تحتفظ بمقذوفات الجبهة لتعطيها مشروعية التدخل عندما تجهز وتنضج الظروف

مصطفى سلمى ولد سيدي مولود
قائد شرطة جبهة البوليساريو السابق

● انطلاقا من موقعكم كقيادي سابق في جبهة «البوليساريو»، ولكم معرفة بطريقة تفكير قياداتها.. ما هي رسائل الجبهة من استهداف ضواحي السمارة بمقذوفات عتيقة تسقط في الخلاء بدون أي تأثير فعلي على توازن القوى مع الجيش المغربي؟

ولن تخرج أفعالها عن كونها انعكاس لتلك الخلفية.

نعود إلى سؤالكم، فالجبهة أشبه بثور المصارعة يبقى في القفص يعلف، وعندما يجد فسحة للحركة يهاجم كل ما يتحرك أمامه دون اعتبار للعواقب، تماما كما كان حال البوليساريو فترة حربها الأولى التي لم تكن استراتيجية التحرير (الذي هو عنوان الجبهة) فيها واضحة، لا عسكريا ولا سياسيا. كانت الجبهة قويّة بما تتلقاه من دعم سخي من الحلفاء، و برغبة مقاتليها في التحرر من اللجوء والعودة بأهلهم إلى أرضهم التي صُور لهم أنها انتزعت منهم، ولم تكن مكاسبها بفعل تفكير استراتيجي، وإلاّ كنا نراها تتزايد أو على الأقل مستقرة وثابتة.

و بعدما قل العلف (الدعم)، وألفت الأجيال الجديدة الوطن البديل، ظهرت صورة الثور الحقيقية. وعلى هذا الأساس فما حصل من قصف لمدينة السمارة، ليس إلاّ فعلا اعتياديا دأبت عليه البوليساريو الضعيفة منذ إعلانها العودة للحرب نهاية 2020، حسب ما توثقه تقارير الأمين العام للأمم المتحدة.

المختلف فيها هذه المرة هو خطأ التقدير في المكان (استهداف مركز تجمع سكاني مدني محرم دوليا ودينيا وأخلاقيا)، وأنا وعائلتي من ضحايا هذا النوع من الاستهدافات العشوائية. ففي أكتوبر سنة 1979 سقطت قذائف للبوليساريو على منزلنا في ذات المدينة السمارة، استشهد فيه أربعة أشخاص من ضمنهم أختاي.

وفي الزمان (وقت إدارة ترامب الذي يدعم السلام والتنمية بدل الحروب)، والجزائر التي تصنف نفسها من محور المقاومة من الدول الأولى تحت المراقبة، خاصة وأنها تعيش وضعا داخليا غير مستقر ومحاطة بالأزمات. ولا أعتقد أن البوليساريو كان لها هدف محدد من هذه العملية، وإنما تدخل في سياق ضعف تحكم الجبهة في إدارة المعركة بسبب انعدام الاتصالات في المناطق العازلة شرق الحزام وخطورتها، وتقلص فرص مهاجمة القواعد المغربية بسبب تفوق هذا الأخير التقني، وسيطرته الجوية عبر المسيرات والاقمار الصناعية.

● هل هذا كل ما تبقى من خيارات لدى جبهة البوليساريو؟

علينا أن نفهم السياق الذي عادت فيه الجبهة للحرب أواخر 2020، فيبدو أن إعلانها العودة للحرب كان خيار ضرورة، ودون تحضير مسبق، والسبب طبعا لا يعود لتدبير المغرب أو تخطيطه، بل لغباء الجبهة الاستراتيجي وسوء تقدير قياداتها. وهو أمر طبيعي إذا ما أخذنا في الحسبان المعطيات الواردة في جواب سؤالكم الأول. كيف كان إعلان الجبهة العودة للحرب أواخر 2020 خيار ضرورة؟

الجبهة أعلنت العودة للحرب بعد أن خرق المغرب وقف اطلاق النار وضم المنطقة العازلة في الكركرات خلف الحزام الدفاعي. بتلك الحركة أصبحت حدود المغرب السيادية متصلة لأول مرة بعمقه الإفريقي بعدما ظل مكبلا باتفاقية وقف اطلاق النار لثلاثة عقود التي كانت تحد سيادته دوليا داخل حدود الحزام.

إذا سلمت الجبهة بالأمر الواقع الجديد، فالمغرب هو الرابح إذ لم يعد هناك مانع قانوني يمنعه من لعب دوره كحلقة ربط بين الشمال والجنوب، وستلاحظ أن نظرة العالم للمغرب تغيّرت بعد أحداث الكركرات سنة 2020 عن قبلها.لهذا السبب أعلنت الجبهة العودة للحرب للضغط على المغرب، واشترطت للعودة للالتزام بالاتفاقية رجوع المغرب لحدود ما قبل 13 نونبر 2020.

وهنا يتبين غباء الجبهة وضعف تخطيطها الاستراتيجي، فما دام هدفها هو عودة المغرب لما قبل الكركرات، لمَ أعطته الحجة للتخلص من عقدة كانت تخنقه قانونيا وديبلوماسيا.

ولذلك، أعتقد أن نظام الجزائر الذي كان تحت ضغط حراك الشارع، كان في حاجة إلى خلق وهم عدوٍ خارجي ليلهي شارعه المنتفض، فدفع بالبوليساريو لاتخاذ خطوة خاطئة يعرف مسبقا بأن غلبة المغرب ستكون نتيجتها الحتمية، فيتخذ من هزيمة البوليساريو مظلومية وشماعة تهديد لأمنه القومي يُسكت بها شارعه.

وعودة لسؤالكم، حول هل هذا كل ما لدى الجبهة، والجواب: نعم، هذا ما أرادت لها

> **المختلف في قصف البوليساريو هذه المرة هو خطأ التقدير في المكان (استهداف مركز تجمع سكاني مدني محرم دوليا ودينيا وأخلاقيا)، وأنا وعائلتي من ضحايا هذا النوع من الاستهدافات العشوائية. ففي أكتوبر سنة 1979 سقطت قذائف للبوليساريو على منزلنا في ذات المدينة السمارة، استشهد فيه أربعة أشخاص من ضمنهم أختاي.**

الجزائر، أن تضطرها لخوض حرب، وتمنع عنها التسليح، كي تبقى حربا منخفضة الشدة لا تضطر المغرب لاتخاذ خطوات حاسمة تنهي الجبهة، وتعطي للجزائر مادة اعلامية للجم مطالب الشارع بوهم عدو متفوق بتقنياته وحلفائه على حدود الجزائر الغربية.

● برأيك، هل هذه رسائل البوليساريو أم رسائل الجزائر إلى المغرب على أن الأمر قد يبدأ بمناوشات ويتطور إلى حرب مفتوحة تحتاج لمبرر لبدئها؟

البوليساريو أظهرت معطيات ما بعد الكركرات أنها غير قادرة على مسايرة النزاع بالخردة التي تمتلكها من بقايا القرن الماضي، واستمرارها في الحرب بالوتيرة الحالية هو هدف الجزائر على المدى البعيد، ففي المدى المنظور يستمر هدف الجزائر هو المحافظة على الحد الأدنى من التوتر ولو بطلقة كلاشينكوف، فالجزائر ما زالت ترمم نظامها (سياسيا واقتصاديا وديبلوماسيا)، وتعي الظرفية الدولية التي نحن فيها خاصة مع عودة ترامب لقيادة أمريكا من جديد. لذلك، الجزائر تحتاج الوقت إن كانت تفكر في التصادم مع المغرب، وستحتفظ برصاصة البوليساريو الحالية أو مقذوفاتها لتعطيها مشروعية التدخل عندما تجهز وتنضج الظروف.

● خلال السنوات الأخيرة أثيرت العديد من المعطيات حول تدريب ودعم في من إيران لجبهة البوليساريو بطلب جزائري من خلال تقويتها عسكريا لخلق «حوثي جديد» في المنطقة ينفذ أجندات بالوكالة وفق تحالفات غير مخفية بين الجزائر وإيران. في نظرك إلى أي حد هذه المعطيات دقيقة؟

حقيقة هذه الدعوى ينسفها الوجه الذي ظهرت به البوليساريو ميدانيا بعد إعلانها العودة للحرب. ثم إن قيادة البوليساريو ليست لديها استراتيجية لتطوير وتحديث الحركة، ليس لأنها ليست في حاجة لذلك، بل لأن وجود كوادر قادرة ومتمكنة يهدد مراكز القيادة أنفسهم، وعناصر القيادة ومحيطهم ليست لديهم قدرات معرفية تؤهلهم لتدريب فوق مَا هُم عليه. ولذلك تشتغل أساسا على إدارة الواقع دون السعي إلى تغيير حقيقي يستلزم أدوات جديدة.

ومن حيث المعلومة، فلا علم لي بتدريبات قام بها صحراويون في مراكز تابعة لجهات محسوبة على إيران، ولا بقدوم مدربين منها إلى المخيمات. وبالمناسبة المخيمات صغيرة وناسها متعارفون فيما بينهم وليس فيها ما يخفى على أهلها.

● في الوقت الذي كنت فيه قياديا في الأجهزة الأمنية لجبهة البوليساريو، هل كانت هناك اتصالات مباشرة أو غير مباشرة من دول خارج الدول التقليدية مثل ليبيا وكوبا وفنزويلا وسوريا لدعم الجبهة ماليا وعسكريا مثل ما يثار عن إيران؟

أولا علينا أن نأخذ بالحسبان تطور النزاع وطول أمده وما رافقه من تحولات دولية. وعلاقة بموضوع إيران، ففي بدايات النزاع لم تكن لها أية علاقة بالجبهة، ولا حاجة للجبهة إليها أصلا في ظل الدعم الذي تتلقاه من المعسكر الشرقي ومن ليبيا خاصة.

قطع سنة 1979 طرأ تحول جديد في إيران لما غادر الشاه طهران إلى مصر، ومنها إلى المغرب حيث استقبله الحسن الثاني ومنحه اللجوء، فردت إيران الخميني على الخطوة المغربية بالاعتراف بالجمهورية الصحراوية في 27 فبراير 1980. وكان اعترافًا شكليًا للمزايدة على المغرب فقط. ولم تكن إيران في موقف دعم أحد عسكريا، ولا الجبهة في حاجة لدعم إيران عسكريا.

ثم جاءت الحرب العراقية الإيرانية بعد ذلك بوقت قصير (1980 إلى 1988)، وبانتهائها عادت العلاقات تتحسن بين العرب وإيران، ومن ذلك سحب إيران اعترافها بالجمهورية الصحراوية وإعادة فتح سفارتها في الرباط عام 1991. وهو العام الذي تم فيه توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار في نزاع الصحراء، ولم يعد العمل العسكري من أولويات الجبهة.

وكما أسلفت، فلم تكن الجبهة مستعدة عسكريا ولا سياسيا للعودة للحرب من جديد. وبالتالي أعتقد أن دعاوى علاقة إيران بالبوليساريو لا يجب إخراجها من سياق التجاذبات بين الرباط وطهران، وهي مرتبطة عضويا بالتهديد الإيراني لحلفاء المغرب في منطقة الخليج، أكثر من تهديدها المباشر للمغرب مجسدا في دعم إيراني لبوليساريو غير مؤهلة أصلا للدعم.

● قدّم عضو مجلس النواب الأمريكي عن الحزب الجمهوري، جو ويلسون، إلى جانب النائب الديمقراطي جيمي بانيتا، مقترح قانون في الكونغرس يهدف إلى تصنيف جبهة البوليساريو منظمة إرهابية. في رأيك ما هو التحول الذي يمكن أن يحدثه هذا القرار إن تم التصويت عليه داخل الكونغرس، وكيف سيكون وضع الجبهة في علاقتها مع المؤسسات الدولية والقارية؟

أعتقد أن هذه الخطوة تأثيرها إعلامي وسياسي-دعائي أكثر منه قانوني ودبلوماسي، وستضر بصورة الجبهة دون أن يتأثر مركزها القانوني بحكم أننا في ذروة مخطط تسوية يتقدّم فيه المغرب كثيرًا في النقاط على حساب خصومه، وتصنيف الجبهة كمنظمة إرهابية يفقدها شرعيتها كطرف في النزاع.

وفي غياب شريك، يفقد مخطط التسوية مبررات استمراره، ويفقد معه المغرب نقاطه المكتسبة عبر عقود من النضال، وتعود القضية إلى المربع الأول (تقرير المصير) الذي هو أساس النزاع.

فتغييب البوليساريو لا يعني انتفاء صاحب الحق الأصلي، فتقارير الأمين العام وقرارات مجلس الأمن تطالب بحل سياسي توافقي يكفل تقرير «مصير شعب الصحراء»، وليس تقرير مصير البوليساريو التي هي مجرد أداة. وإذا كان قرار تصنيف الجبهة منظمة إرهابية مجديًا، كان القضاء المغربي أصدره منذ فترة وانتهى الموضوع.

● بالموازاة مع قرار تصنيف «البوليساريو» منظمة إرهابية، يعمل المغرب رفقة فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في كواليس مجلس الأمن على سحب ملف الصحراء من اللجنة الرابعة. إن تحقق ذلك، هل يعني نهاية البوليساريو بإنهاء الملف في شكله القانوني الحالي؟

هذه الخطوة جوهرية على اعتبار أنها تفقد مشروع البوليساريو مرتكزًا شرعيًا قويًا، لكنها ليست كافية ولا بالهيّنة، فهناك قرار محكمة العدل الدولية الاستشاري لسنة 1975 الذي يقرّ بحق سكان الإقليم في تقرير المصير، وهو ما لم يحصل بعد. ومن الصعب أن تتناقض قرارات الجمعية العامة مع القانون الدولي.

● بعد نصف قرن من هذا الصراع الجيوسياسي في المنطقة.. في نظرك ما هي الكلفة السياسية التي يمكن أن تدفع الجزائر لإنهاء هذا الصراع؟ وهل يمكن أن يدخل النظام

> **البوليساريو أظهرت معطيات ما بعد الكركرات أنها غير قادرة على مسايرة النزاع بالخردة التي تمتلكها من بقايا القرن الماضي، واستمرارها في الحرب بالوتيرة الحالية هو هدف الجزائر على المدى البعيد، ففي المدى المنظور يستمر هدف الجزائر هو المحافظة على الحد الأدنى من التوتر ولو بطلقة كلاشينكوف، فالجزائر ما زالت ترمم نظامها (سياسيا واقتصاديا وديبلوماسيا)**

الجزائري في حرب مع المغرب إن أحس أن الملف سيسحب من بين يديه؟ وما المطلوب لتفادي إدخال المنطقة في فوضى لا أحد يتمناها؟

أولا علينا أن نفهم الحسابات التي دخلت بها الجزائر النزاع وما زالت مستمرة فيه، وأعتقد أنها مؤسسة على غياب الثقة بين نظام الجزائر والمغرب فيما يتعلق بمعالجة تركة الاستعمار والتنافس الإقليمي على الزعامة، بالإضافة إلى توظيف الملف داخليًا لديمومة استمرار حكم العسكر، وليس لحاجة جزائرية مبدئية لتأسيس دولة في الصحراء الغربية.

وبخصوص دخول الجزائر في مواجهة عسكرية مباشرة مع المغرب، فهو غير وارد، على اعتبار أن الغاية ليست سواد أعين الصحراويين، وإنما مصالح الجزائر. فلو كانت الجزائر تريد استقلال الصحراء عن المغرب، كانت أمامها فرص كثيرة في وقت ضعف المغرب نهاية السبعينيات، وكان عليها أن تمنع اقتراب الحزام الدفاعي المغربي من حدودها مع تيندوف.

حالة النزاع بين البوليساريو والمغرب هي الصيغة المثلى للجزائر. ففيها هي التي تريد من المغرب تقرير مصير الصحراويين مسنودة في ذلك بقرارات «الشرعية الدولية»، والمغرب في حالة دفاع، بينما المواجهة المباشرة ستعطي المغرب الحجية في فتح كل الملفات، وستصبح الجزائر في وضع المطالبة. ولحد الآن، الجانبان يفهمان قواعد الاشتباك بينهما ويحترمانها حتى لا يصلا إلى حالة المواجهة المباشرة. والجزائر لن تتخلى عن ملف نزاع الصحراء إلا إذا تغير نظامها، أو تعرضت لضغط خارجي قوي، وهما الخطران اللذان تجتهد في تفاديهما.

أما استمرار حالة النزاع بأي صيغة كانت، فهو يخدم الجزائر ما دامت غير مضطرة للمبادرة لمواجهة المغرب، أما إن بادر المغرب للمواجهة، فذاك يخدمها لأنها ستكون في حالة دفاع عن النفس. بالمحصلة لا ينبغي إخراج الملف من خانة حاجة الجزائر لإضعاف المغرب، ومن فقد صبره أولًا من الجانبين سيدفع الثمن.

- **في ذات السياق.. كيف ترى دور موريتانيا التي لديها حساباتها في الملف. فنخبة فيها ترغب في الإبقاء على الملف كما هو بحكم التأويل التاريخي للحدود بين نواذيبو والكويرة، وتأثير ذلك على الجانب الاقتصادي للبلد، والبعض الآخر يرغب في «استقلال الصحراء» بحكمه في ذلك النزعة القبلية، ونخبة حاكمة بدأت تدرك أن المستقبل يحتاج إلى منطقة مستقرة بحدود لا تخرج عن الحدود المعروفة لدول المغرب العربي، والعمل على الاندماج الاقتصادي لكسب رهانات الشعوب في حياة أفضل بعيدا عن الصراعات التي أنهكت المنطقة؟**

أولا، لا ننسى أن قرارات مجلس الأمن خاصة الأخيرة منها تعرف موريتانيا كطرف من أطراف النزاع، وهذا يعني أن لها مصالح مرتبطة به، ولا يتعارض ذلك مع اقرار موريتانيا بأنها تتخذ موقف الحياد الإيجابي في علاقاتها مع بقية أطراف النزاع. هذان المحددان يرسمان دور موريتانيا في النزاع والإطار الذي تتحرك فيه.

> **موقف موريتانيا في نزاع الصحراء غير مرتبط بنخب أو تيارات سياسية أو قومية، بل مرتبط بمصالح استراتيجية تتعلق بالمصالح العليا للبلد يفهمها أو يتفهمها الجميع. ومن الصعب على موريتانيا أن تميل كل الميل إلى طرف دون الآخر، وقد جرّبت نتائج الاصطفاف في بداية النزاع**

تعرف موريتانيا حاجة الأطراف الأخرى لها فهي رابطة وصل المغرب بعمقه الإفريقي، والحلقة الأولى في سلسلتها، وهي بمثابة صحراء غربية ثانية للجزائر لقطع الطريق على المغرب بعدما فُقدت الكركرات. وهي رئة البوليساريو التي تتنفس منها المخيمات، والأهم مساحة حركة قوات الجبهة الآمنة.

موقف موريتانيا في نزاع الصحراء غير مرتبط بنخب أو تيارات سياسية أو قومية، بل مرتبط بمصالح استراتيجية تتعلق بالمصالح العليا للبلد يفهمها أو يتفهمها الجميع. ومن الصعب على موريتانيا أن تميل كل الميل إلى طرف دون الآخر، وقد جرّبت نتائج الاصطفاف في بداية النزاع. هي الآن تكسب من الجميع دون أن تفقد الكثير. ونوّايم في ذلك بين مصالحها ومصالح كل طرف على حدة.

وأعتقد أن الموقف العام في المنطقة مرتبط بتسوية نزاع الصحراء، فهو البوابة التي ستلج منها للتكامل ولربما الوصول لحالة من التوافق تتجاوز الحدود السياسية القطرية على شاكلة الاتحاد الأوروبي ودول الخليج. ودون ذلك، لا مفر من حالة المد والجزر في علاقة موريتانيا بجيرتها الإقليمية المتنافسة.

- **كيف تقيمون الموقف الموريتاني الأخير الرافض لاستغلال أراضيه من قبل عناصر الجبهة، والذي عبّر عنه بإغلاق منطقة «لبريكة» الحدودية؟ هل يعكس هذا بداية قطيعة مع مرحلة الغموض؟**

الغموض هو ما حصل بعد 19 ماي الفائت حينما أغلقت سيارة لحرس الحدود الموريتاني الثغرة الحدودية التي يخرج منها ناس المخيمات عادة (مدنييهم وعسكرهم) نحو الأراضي الموريتانية الآمنة من «الدرون» المغربية. ورسميًا لم يُعلن أي قرار على الملأ يمنع عبور مقاتلي الجبهة، وعلى الأرض لم تضع موريتانيا نقاط مراقبة ثابتة عند نقطة الخروج من المخيمات. وأعتقد أن موريتانيا أوصلت رسالتها للأطراف وتحتاج منهم الالتزام دون الاضطرار للتصادم الخشن.. وبين الحزم والمرونة الموريتانية قد لا تخلو الأمور من «سارق الليل».

- **لو عدنا إلى واقع المخيمات، هل يمكن أن نتوقع «تقرير مصير» داخلها من طرف الصحراويين الموجودين هناك لتحديد مستقبلهم الذي تشير كل المعطيات على الأرض أنه يستحيل أن يكون خارج حدود المملكة المغربية؟**

هذا سؤال جوهري. ما يخفى على جميع من ينظر إلى المخيمات من الخارج أو يتابع أحوالها من خلال التقارير، هو أنه لا توجد مخيمات لاجئين ولا حركة سياسية عسكرية، بل توجد دولة بكل مؤسساتها وهياكلها الإدارية. والإنسان في المخيمات يشعر أنه يعيش في دولته، وليس في مخيمات لاجئين، ولا يشعر أنه مرتبط بالبوليساريو إلاّ كونها الجهاز العسكري للدولة أو السلطة التي تحكم الدولة.

هذا الإنسان قرر مصيره منذ أعلنت البوليساريو الجمهورية الصحراوية، ومنحتها الجزائر قطعة من أرضها. حتى الشعور بأنه في أرض الغير غائب، لأنه لا يرى هذا الغير يوميًا ولا يحس بوجوده. وعندما يخرج الشخص من المخيمات يخرج من نقطة مراقبة تابعة للدولة الصحراوية ويدخل الأراضي الجزائرية من نقطة مراقبة جزائرية. هذا الإنسان ينتظر حلًا واحدًا، هو أنه سيأتي اليوم الذي تنتقل فيه الدولة الصحراوية من تيندوف إلى الصحراء الغربية. أما أن تنتفي الدولة الصحراوية، فذاك ليس في مخياله. فالغالبية ازدادوا تحت علم «الجمهورية»، ونشأوا فيها، وتزوجوا، وصاروا آباء. ولديهم هويات صحراوية وعناوين بمسميات مدن الصحراء: العيون، السمارة، الداخلة، بوجدور.

إذا لم تنجح المجموعة الدولية في فرض قرار مجلس الأمن بتسجيل اللاجئين لدى مفوضية غوث اللاجئين لتتحمل هذه الأخيرة مسؤوليتها تجاههم، أو تقول الجزائر إنها لم تعد تسمح بسلطة لغير سلطتها فوق أراضيها، فالصحراوي في المخيمات سيبقى مواطنًا في الجمهورية الصحراوية فوق التراب الجزائري، لأنه هذا ما تفتحت عيناه عليه وتنشأ فيه، بأنه مواطن في دولته، وهي التي تعنى بجميع شؤونه وليس لاجئًا عند أحد.

- **ما الرسائل التي توجّهونها إلى شباب المخيمات الذين نشؤوا على خطاب الانفصال ولم يُتح لهم الاطلاع على الواقع الميداني في الصحراء؟**

أعرف أنه من الصعب أن يصدق المرء أن كل ما يحيط به هو وهم، وأنه ازداد وتنشأ وكبر ودفن آباءه في وهم. ولكن لا بأس من إعطاء مثل لنا جميعًا يستحثنا على إعمال العقل.

فكلنا من خارج الهند نرى تقديس الهندوسي للبقرة ضلال، ولكن الهندوسي لا يراها كذلك، لسبب بسيط: أنه وُلد وتنشأ في بيئة تقديس البقرة فيها من المسلمات، والمسلمات تعطل العقل.

أتمنى أن يحكم شبابنا عقولهم حتى تكون قراراتهم عن بينة وعلم، لا عن اتباع واقتداء كان سببًا في هلاك أمم كثيرة من قبلنا.

- **أنت اليوم لاجئ سياسي في موريتانيا، بعد أن دُفعت إلى المنفى نتيجة مواقفك. كيف تصف ظروفك الحالية، وهل تواصلت معك السلطات المغربية للعودة إلى المغرب أم أن خيارك أن تبقى في موريتانيا؟**

ربما مضى عليّ من الزمن ما يكفي لاعتاد وضعي، وهو بالمناسبة غير غريب عليّ، فما هو إلا استمرار لحالة أعيشها من يوم أخذتني البوليساريو من حضن والدي وأنا صبي وجعلتني لاجئًا في مخيماتها قبل 46 عامًا. لكن هذا المنفى ربما أصعب باعتبار البعد عن الأهل والمعارف، وانفصال المرء عن كل ماضيه، فيجد نفسه مجبرًا على البدء من جديد، وهو في سن الأربعين.

وبخصوص العلاقة مع السلطات المغربية، فقد كانت دومًا للمغرب تمثيلية دبلوماسية في الجزائر، ولكنها لم ترتبط قط بأي علاقة مع أي من ناس المخيمات، بسبب الأعراف الدبلوماسية، وهو نفس الحال مع تمثيلية المغرب هنا بموريتانيا.

الحل هو في تمكيني، وكذلك اللاجئين الصحراويين في تيندوف، من حقنا في الحصول على وثائق سفر، وهو أمر مازلت محرومًا منه مع الأسف. وعندما أتحصل على وثيقة سفر، فأهلنا يقولون إن «لِ بعقلو ما يذهب» (العاقل لا يضل).

كل الأخبار...
في تطبيـق واحـد

خبر عاجل
خدمة الخبر العاجل
تتيح لك التوصل **بآخر**
الأخبار لحظة وقوعها
عبر تطبيق الصحيفة
ANDROID APP ON Google play
Download on the App Store
الصحيفة
ASSAHIFA.COM

عشرة أيام في الهند.. بلد صاعد يشبه متحفا من القطع الأثرية تحكي قصص حضارات ممتدة منذ آلاف السنين

الصحيفة - محمد سعيد أرباط (الهند)

حين تزور الهند لأول مرة، لا تأتيك الأحاسيس دفعة واحدة، فهناك شيء عميق في هذه البلاد، ينساب ببطء إلى روحك، كما ينساب بخور الندّ في أروقة المعابد القديمة. لقد قادتني رحلتي، التي مثلت فيها «الصحيفة»، إلى هذه الأرض الساحرة، ضمن وفد إعلامي من صحافيين يمثلون عدة دول إفريقية، في زيارة استمرت حوالي عشرة أيام، (9 - 18 يونيو 2025)، وكانت بالفعل رحلة استكشاف، ليس فقط للهند، بل لشيء مشترك وعميق بينها وبين المغرب أيضا.

بدأت الزيارة من العاصمة نيودلهي، التي تصادف وقت زيارتنا لها مع ارتفاع مفرط في درجة الحرارة، حيث يُعد يونيو ذروة الحرارة المرتفعة في نيودلهي مقارنة بباقي شهور السنة، ولكن ما خفف من وطأتها هو الكثافة الخضراء التي تغمر المدينة.

لقد فاجأتني نيودلهي بكثرة الأشجار والمساحات الخضراء التي تتخلل طرقها وشوارعها، كأنها تتنفس طبيعيا رغم ضجيج الحياة الحضرية والشمس الساطعة التي تبدو وكأنها فوق الأشجار مباشرة. لقد قادتني تلك الخضرة لاستحضار مدينة الرباط، عاصمة بلدي المغرب، ووجدت نفسي أبتسم لهذا «الشبه النباتي» بين العاصمتين، فكلاهما، رغم اختلاف الحجم والثقل السكاني، يحتفظ بروح خضراء تصر على أن تحيا.

وتخيلت، خلال إحدى الجولات، مشروعا مشتركا مغربيا-هنديا لتهيئة الحدائق الحضرية في مدن إفريقية، لأن هذا الوعي الإيكولوجي بالمساحات الخضراء يمكن أن يتحول إلى نموذج تعاون حضري مستدام.

في اليوم الأول من برنامج الزيارة، توجهنا من الفندق القابع وسط غابة من الأشجار، إلى مركز التفكير «Observer Reserve Foundation» المعروف اختصارا بـ «ORF»، أحد أهم مراكز التفكير في آسيا. كان اللقاء في هذا المركز مليئا بالأحاديث الأكاديمية العميقة حول إفريقيا والهند والمستقبل المشترك، وتحدث باحثو المركز عن أهمية المغرب في معادلة الأمن الغذائي للهند، وشرحوا كيف أن الفوسفاط والأسمدة المغربية لا تغذي الأراضي الهندية فحسب، بل تُعد صلة وصل استراتيجية بين الرباط ونيودلهي. تأملت في هذا الربط بين الأرض والتفكير، بين خصوبة التربة وخصوبة الأفكار، وبين العلم والمصلحة في بعدها النبيل.

في ذات اليوم، انتقلنا إلى شركة «RITES»، وهي مؤسسة هندسية عملاقة متخصصة في الخدمات التقنية والاقتصادية للسكك الحديدية والنقل، وقد بدا واضحا أن ما تعيشه الهند من طفرة في البنية التحتية، لم يكن نتيجة خطط عشوائية، بل نتيجة تفكير استراتيجي ومراكمة هندسية عبر عقود. لقد كان استقبالنا من طرف مسؤولي وموظفي هذه الشركة بالغ الحفاوة، وهي حفاوة تبدأ معك كأجنبي، فور وصولك إلى مطار هندي. الشعب الهندي شعب مضياف، وهذه إحدى النقط المشتركة البارزة مع نظيره المغربي. في هذه المؤسسة اطلعنا على التنوع الكبير لمشاريع «ريتيس» في إفريقيا. أحد المسؤولين قال لي إن المغرب موجود على رادار الشركة، وإن وفدا منهم قد زار المملكة، بحثا عن فرص التعاون والاستثمار.

في المساء، ذهبنا إلى سوق «Dilli Haat»، سوق شعبي يعج بالحياة، حيث تتداخل الألوان والروائح واللغات في مشهد كرنفالي دائم. لاحظت أن العلاقة بين الفضاء التجاري والتراثي في الهند تستحق أن تُدرس، فكل محل صغير يشبه متحفا حيا، يمتزج فيه الحرفي بالتاجر والفن بالاقتصاد.

في اليوم الثاني، زرنا مقر قناة «Doordarshan»، وشاركنا في برنامج تلفزيوني بعنوان «الدبلوماسية الهندية» (Indian Diplomacy)، تحدثت خلاله عن العلاقات المغربية الهندية التي بدأت في النمو بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، وفرص التعاون الإعلامي، وكان التفاعل إيجابيا وجيدا. ثم زرنا بعد ذلك المعهد الهندي للتكنولوجيا، ذلك الصرح العلمي الذي خرّج آلاف العقول المبتكرة. عرفت هناك أن طلبة مغاربة سبق لهم التكوين داخل أسواره، بل إن المعهد فتح فرعا له في أبوظبي، مما يعكس طموحه للتوسع عالميا.

المحطة الثالثة كانت المتحف الوطني في نيودلهي، حيث تسافر عبر الأزمنة وأنت تتمعن في القطع الأثرية التي تحكي قصص حضارات ممتدة منذ آلاف السنين. فالهند ليست فقط دولة، إنها سرد طويل من الأساطير والوقائع، من الملوك والمحاربين ورجال الدين بمختلف انتماءاتهم. وهذا لا يبدو غريبا عن بلد يُعد من البلدان التي شهدت أولى الحضارات الإنسانية في العالم.

> **بدا واضحا أن ما تعيشه الهند من طفرة في البنية التحتية، لم يكن نتيجة خطط عشوائية، بل نتيجة تفكير استراتيجي ومراكمة هندسية عبر عقود**

رئيس تحرير «الصحيفة الإنجليزية» محمد سعيد أرباط رفقة أمين الخارجية الهندية أرون كومار شاتيرجي.

وفد من الصحافيين الأفارقة أثناء زيارتهم للبرلمان الهندي.

وفي اليوم الثالث من برنامج الزيارة، كان لنا موعد مع اتحاد الصناعة الهندية «CII»، حيث التقينا بكبيرة الاقتصاديين، ياورل بهارديواج، التي أكدت لنا أن المغرب شريك مهم، وأن وفودا هندية كثيرة تتجه نحوه بحثا عن فرص تجارية جديدة. إن المغرب، ليس على الهامش في الحسابات الاقتصادية الهندية، بالنظر إلى موقعه الجغرافي والاستراتيجي الهام، وهو ما ينطبق على عدد من الدول الإفريقية الأخرى حسب بهارديواج.

بعدها زرنا مركز «CDRI»، الذي يعزز البنية التحتية المقاومة للكوارث، ويقيم شراكات مع الدول النامية، خاصة في إفريقيا. وهناك أطلعنا مدير المركز على برامج تدريبية مفتوحة أمام أطر من دول الجنوب، ووجه دعوة مفتوحة للصحافيين الأفارقة لزيارة مشاريع «مقاومة الكوارث» في ولايات هندية مختلفة.

وكان لقاءنا مع أمين الخارجية الهندية، أرون كومار شاتيرجي، من أبرز اللحظات الدبلوماسية في الزيارة. لقد أجاب هذا المسؤول الهندي عن كل أسئلتنا بحزم وكياسة، مؤكدا رغبة بلاده في مضاعفة حجم التجارة مع المغرب وتوسيع التعاون في مجالات مثل الأدوية، والسيارات، والطاقة، والضيافة، واعتبر أن المغرب بلد مهم بالنسبة للهند في سياستها الخارجية، مشيرا إلى أن العلاقات ستشهد المزيد من التطور الإيجابي في المستقبل.

في اليوم الرابع من برنامج الزيارة، غادرنا العاصمة الهندية باتجاه أغرا في السادسة صباحا. الطريق إليها كان أخضر كما تخيلت، وأحيانا أكثر. فالمساحات الزراعية والفلاحية شاسعة جدا على طول الطريق الممتدة لأكثر من 200 كيلومتر. هنا أدركت مدى حاجة الهند إلى المغرب في مجال الأسمدة، بالرغم من أن هذه المساحة التي شاهدتها ليست إلا مساحة ضئيلة جدا مقارنة بالجغرافيا الواسعة للهند.

عندما وقفنا أمام «تاج محل» الذي ينتصب وسط أغرا، كانت الكلمات تختفي أمام الجمال الصامت لهذا الضريح الأبدي. حكى لنا المرشد قصة الإمبراطور شاه جهان، الذي شيّده لزوجته ممتاز محل، وكيف تحول هذا الحزن إلى إحدى أعظم روائع العمارة في العالم، وأحد الأوجه الشهيرة للهند بين باقي الأمم.

بعد يوم من الراحة، حللنا بمدينة بنغالور، مدينة الحدائق والعلم والتكنولوجيا. مقارنة بنيودلهي، كان الجو في بنغالور منعشا، والهواء فيه لمسة من البرودة الحنونة، وقد استقرينا في منتجع «تاج ويست آند»، وهناك استعدنا أنفاسنا قبل بداية جولة جديدة.

> **ما الذي يجعل الهند قريبة منا، نحن المغاربة؟ وجدت الكثير. الشعب الهندي يشبهنا في الحفاوة وكرم الضيافة، يرافقك في الشارع إذا احتجت المساعدة، كما يفعل المغاربة تماما. مسؤولوه يحملون طموحا واضحا لتعزيز مكانة بلدهم عالميا، وهو طموح برز قوة في المغرب منذ تولي الملك محمد السادس لعرش المملكة المغربية في 1999.**

بدأنا يومنا (اليوم الثاني بعد الوصول إلى المدينة) بزيارة قصر بنغالور، تحفة فنية تروي تفاصيل التاريخ الملوكي للهند. ثم زرنا وكالة الفضاء الهندية المعروفة اختصارا بـISRO»»، ودخلنا تحت إجراءات أمنية مشددة، أي جهاز إلكتروني ممنوع. من هنا انطلقت الهند إلى القمر والمريخ، ومن هنا أيضا، كما أبلغنا، تُبنى شراكات مع دول مثل المغرب في إطار تبادل المعرفة الفضائية.

المحطة التالية في مدينة بنغالور كانت المعهد الهندي للعلوم «IISc»، مؤسسة تعليمية وبحثية مرموقة، تخرج منها كثير من علماء الهند. كانت فرصة للوقوف على عراقة النظام التعليمي الهندي الذي يدمج البحث العلمي بالصناعة. وقد أبلغنا الأساتذة هناك أنهم منفتحون على شراكات أكاديمية مع باقي المؤسسات الأكاديمية في مختلف دول العالم.

وفي اليوم ما قبل الأخير، زرنا شركة «بيوكون»، المتخصصة في التكنولوجيا الحيوية. دخلنا مختبراتها، شاهدنا مراحل تصنيع الأدوية، وسمعنا مباشرة من المسؤولين عن توسع الشركة في إفريقيا، وخاصة المغرب. لديهم فرع في الدار البيضاء ويقدمون أدوية بيولوجية مبتكرة لمرضى السرطان والسكري. أدركت هنا كيف يمكن للتكنولوجيا أن تُعزز التعاون جنوب-جنوب، حين تُوجه لخدمة الإنسان وليس فقط السوق.

ختمنا اليوم الأخير بزيارة مبنى «Vidhan Soudha»، مقر البرلمان في ولاية كارناتاكا. البناية مهيبة، وتحكي عن مؤسسات ديمقراطية عريقة تُميز الهند عن العديد من دول الجنوب. أعتقد أن العديد من البلدان في إفريقيا، تحتاج أن تؤمن أكثر بقوة المؤسسات، وأن تتخذ من الهند نموذجًا يُحتذى به في هذا المجال.

في النهاية، وقبل أن نستعد للرحيل، عدت لأفكر، ما الذي يجعل الهند قريبة منا، نحن المغاربة؟ وجدت الكثير. الشعب الهندي يشبهنا في الحفاوة وكرم الضيافة، يرافقك في الشارع إذا احتجت المساعدة، كما يفعل المغاربة تماما. مسؤولوه يحملون طموحا واضحا لتعزيز مكانة بلدهم عالميا، وهو طموح برز قوة في المغرب منذ تولي الملك محمد السادس لعرش المملكة المغربية في 1999.

أيضا، كلا البلدين يواجه تحديات مشابهة، تتعلق بالتنمية، والمناخ، والطاقة، والاستثمار بل حتى عاصمتاهما، نيودلهي والرباط، تتشابهان في الأخضر الممتد والحس الجمالي الحضري.

الهند قوة صاعدة، لا شك. لكنها لا تصعد وحدها، بل تفتح يدها للآخرين، للمغرب، ولإفريقيا. لقد عدت من هناك بأفكار جديدة، يؤمن بها الكثير من الهنديين، بأن المستقبل قد لا يكون دائما غربيا كما اعتدنا، بل قد يكون أيضا آسيويا-إفريقيا، ولما لا، ببصمات مغربية-هندية.

كريستوف لوكورتييه.. السفير الفرنسي «المُحارب» الذي أخرج العلاقة بين باريس والرباط من «سوء فهمٍ كبير»

الصحيفة - اسماعيل بويعقوبي

في دجنبر من سنة 2022، اختارت فرنسا أن توفد إلى الرباط أحد دبلوماسييها المعروف بحنكته وتجربته السياسية، في لحظة دقيقة اتسمت بتوتر غير معلن في العلاقات المغربية-الفرنسية. لم يكن كريستوف لوكورتييه مجرّد سفير جديد في بلد ترتبط به باريس تاريخيًا، بل كان رهانا سياسيا واضحا لإعادة بناء الثقة في مرحلة كان فيها منسوب التوتر مرتفعا، والنوافذ الدبلوماسية شبه مغلقة.

في هذا البورتريه الصحفي، نسلط الضوء على كريستوف لوكورتييه، السفير الفرنسي بالمغرب، الذي لعب دورا في إعادة الدفء إلى العلاقات الثّنائية بين باريس والرباط، في واحدة من أكثر مراحلها توترا وتعقيدا، حيث تمكن لوكورتييه من تجنيب بلاده خسارة شريك إقليمي استراتيجي، وعمل على إعادة بناء الثقة بين البلدين، من خلال تعزيز الحوار السياسي، وخلق مناخ جديد من الإنصات المتبادل.

ولد لوكورتييه سنة 1962 في بيت يتنفس الدبلوماسية، فوالده، فيليب لوكورتييه، سبق أن مثّل فرنسا سفيرا في أكثر من بلد، وهو ما شكّل باكرا شخصية ابنه بين التعدد الثقافي والانضباط الإداري. تخرّج من المدرسة الوطنية الفرنسية للإدارة (ENA) ضمن دفعة «فيكتور هوغو» (1989-1991)، بعد مروره من المدرسة العليا للأساتذة بسان-كلو، ثم معهد العلوم السياسية بباريس، وهي مؤسسات تُعد بمثابة مصانع القرار السياسي والإداري الفرنسي.

امتد مساره المهني لأكثر من ثلاثة عقود، تدرّج خلالها في مختلف مراكز السلطة الفرنسية، من مديرية العلاقات الاقتصادية الخارجية بوزارة المالية الفرنسية، إلى دواوين لوزراء فرنسيين وازنين مثل كريستين لاغارد، وفرانسيس ميرِ، حيث اضطلع بمهام تقنية واستراتيجية، لا سيما في ملفات التجارة الخارجية والسياسات الاقتصادية.

قاد لوكورتييه بعثات اقتصادية لفرنسا في الخارج، وعُين مستشارا تجاريا في الأرجنتين، ثم سفيرا لبلاده في أستراليا (2014-2017) وفي صربيا (2017)، قبل أن يتولى الإدارة العامة لوكالة «بيزنيس فرانس» بين 2017 و2022، حيث أشرف على ترويج الاقتصاد الفرنسي خارجيا واستقطاب الاستثمارات الأجنبية، وهو ما عمّق فهمه للعلاقات الدولية خارج القنوات الكلاسيكية.

بهذا الرصيد التقني الاقتصادي، والدبلوماسي، جاء لوكورتييه إلى الرباط خلفا لهيلين لوغال التي قضت ثلاث سنوات في هذا المنصب، حيث وجد نفسه أمام مهمة معقدة تتجاوز البروتوكول، على رأسها ترميم علاقة استراتيجية مع الرباط تتعرض للاهتزاز، وتوجيه المسار الدبلوماسي نحو مزيد من الوضوح، خاصة في ما يتعلق بقضية الصحراء، بعدما تيقن أنها تمثل محددا محوريا في سياسة الرباط الخارجية.

في هذا السياق الملبّد، جاء اختيار لوكورتييه، قصد إعادة ضبط البوصلة الدبلوماسية مع الرباط، حيث لم يكن الرجل غريبا عن دواليب الدولة الفرنسية، ولا عن منطق التوازنات الدولية، بل وُصف من قبل دوائر القرار في باريس بأنه «الرجل المناسب لمرحلة شديدة التعقيد»، فهو ليس فقط دبلوماسيا متمرسا، بل أيضا حاملا لتجربة إدارية رفيعة، ولقرب شخصي ومهني من النخب السياسية والاقتصادية الفرنسية، ما جعله خيارا لتبديد سوء الفهم، وترميم الثقة المتآكلة مع شريك تعتبره باريس «محوريًا ولا غنى عنه» في شمال إفريقيا والساحل.

وبين حذر مغربي مشروع من النوايا الفرنسية، ورغبة باريس في استعادة دفء العلاقات دون إثارة حساسيات الرباط، برز دور لوكورتييه كوسيط هادئ ساهم في إعادة تشكيل العلاقة بين البلدين خلال فترة جد معقدة.

دبلوماسية الصمت المتبادل

في خضم التوتر الصامت الذي ساد العلاقات بين الرباط وباريس أواخر عام 2022، قرر المغرب سحب سفيره لدى فرنسا، محمد بنشعبون، دون تعيين خلف له، في إشارة حملت أبعادا دبلوماسية تتجاوز الظاهر(تعيينه مديرا عاما لصندوق محمد السادس للاستثمار) وجاءت هذه الخطوة في وقت حساس، وُصفت فيه العلاقات بين البلدين بأنها تمر بـ «مرحلة جليدية» غير معلنة.

ونشرت الجريدة الرسمية حينها بلاغا لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج، صادر بتاريخ 19 يناير 2023، يتم بموجبه إنهاء مهام محمد بنشعبون كسفير للمغرب لدى فرنسا بتعليمات من الملك محمد السادس.

ونُشر هذا البلاغ في الجريدة الرسمية بتاريخ 2 فبراير 2023، أي بعد شهر من استقبال وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة للسفير الفرنسي الجديد بالرباط، الذي قدم نسخا من أوراق اعتماده بصفته سفيرا مفوضا فوق العادة للجمهورية الفرنسية لدى الملك محمد السادس، وذلك بتاريخ 30 دجنبر 2022، علما أنه لم يحظ باستقبال ملكي حتى بداية أكتوبر من سنة 2023.

مجلة «جون أفريك» تطرقت للقضية في إبانه، معتبرة أن المغرب قرر معاملة فرنسا بالمثل، عملا بالمقولة الشعبية المتداولة في المغرب: «اللّي درّقك بخيط، درّقو بحيط». وأضافت أن تجاهل الرباط الرسمي للسفير الجديد لم يكن مجرّد تفصيل بروتوكولي، بل رسالة سياسية صامتة مفادها أن زمن الامتياز الفرنسي في المغرب قد انتهى.

> **مجلة «جون أفريك» تطرقت للقضية في إبانه، معتبرة أن المغرب قرر معاملة فرنسا بالمثل، عملا بالمقولة الشعبية المتداولة في المغرب: «اللّي درّقك بخيط، درّقو بحيط». وأضافت أن تجاهل الرباط الرسمي للسفير الجديد لم يكن مجرّد تفصيل بروتوكولي، بل رسالة سياسية صامتة مفادها أن زمن الامتياز الفرنسي في المغرب قد انتهى.**

أن رجال الأعمال الفرنسيين، الذين لطالما اعتُبروا في مأمن من التقلبات السياسية، لم يعودوا يحظون بنفس الترحيب والتسهيلات التي كانت تميز علاقاتهم مع الفاعلين الاقتصاديين المغاربة. وفي ظل هذا المناخ، وجد لوكورتييه نفسه في وضع بالغ التعقيد حيث اختار التريث، واستثمر في التواصل الهادئ وربما الذكي في إعادة نسج خيوط علاقة معقدة بين نخبة الرباط ونخبة باريس.

أزمة التأشيرات.. اختبار الحكمة والدبلوماسية

من بين أبرز الملفات الشائكة التي ورثها كريستوف لوكورتييه عند تعيينه في الرباط أواخر سنة 2022، كانت أزمة التأشيرات التي فجّرت غضبا صامتا في الشارع المغربي، وخلقت شرخا في جسد العلاقات الثنائية، فقبل أشهر من وصوله، قررت باريس تقليص عدد التأشيرات الممنوحة للمواطنين المغاربة بنسبة 50 في المائة، في خطوة برّرتها برفض الرباط إصدار التصاريح القنصلية اللازمة لترحيل بعض المهاجرين غيرالمرغوب فيهم، رغم أن هذه الأزمة كانت تخفي وراءها حيثيات أخرى وأهدافا أرادت باريس بلوغها بمنطق المساومات.

> **في هذا المناخ المتوتر، وجد لوكورتييه نفسه في عين العاصفة، ورغم أنه لم يكن صاحب القرار، إلا أن منصبه حتّم عليه امتصاص الصدمة وتبني خطاب جديد يُعيد الثقة**

لكن في المغرب، لم يُنظر إلى هذا القرار سوى كـ«عقوبة سياسية» تمس السيادة والكرامة، خاصة أنه طال طلابا، وأطباء، ورجال أعمال، وحتى فنانين وأكاديميين. وتجلى الاحتقان في موجة انتقادات حادة من مختلف الأوساط، بلغ بعضها حدّ المطالبة بمراجعة طبيعة الشراكة مع فرنسا.

كريستوفر لوكورتييه السفير الفرنسي في الرباط.

في هذا المناخ المتوتر، وجد لوكورتييه نفسه في عين العاصفة، ورغم أنه لم يكن صاحب القرار، إلا أن منصبه حتّم عليه امتصاص الصدمة وتبني خطاب جديد يُعيد الثقة، فحرص على التواصل المباشر مع الصحافة والنخب المغربية، مؤكدا خلال استضافته في أحد البرامج على راديو «دوزيم» أن «فرنسا تسمع وتفهم غضب المغاربة»، وأنها تعمل على «تصحيح الوضع وإعادة الأمور إلى طبيعتها»، حيث ساهم هذا الخطاب، المتزن والهادئ، في إعادة بناء الجسور المقطوعة، بل إن البعض رأى في تصريح لوكورتييه نوعا من الدبلوماسية الدفاعية الذكية، التي استطاعت تفكيك التوترات دون الدخول في صدام أو تبرير فجّ.

ومع عودة الدينامية القنصلية تدريجيا، بدأ يتضح أن السفير نجح - بصبر وهدوء - في إعادة تأهيل صورة فرنسا في الشارع المغربي، وفي إعادة التوازن إلى علاقة طالما اتسمت بالدقة والحساسية.

لوكورتييه وقضية الصحراء

من بين الملفات الثقيلة التي وجدها كريستوف لوكورتييه فوق مكتبه في سفارة فرنسا بالرباط، ملف الصحراء، فالموقف الفرنسي ظل لفترة طويلة يراوح مكانه بين دعم غير صريح، ولغة دبلوماسية حذرة، ما جعل الرباط تُبدي انزعاجا واضحا، خاصة بعد اعترافات دول كبرى بسيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وإسبانيا وبينما اختارت باريس المنطقة الرمادية.

وفي ظل هذا الارتباك الفرنسي، برز دور السفير الجديد كعنصر تهدئة، لكن دون أن يفقد البوصلة السياسية، حيث لم يصدر عنه أي تصريح ينحو نحو التصعيد، ولم يسلك مسارات المواجهة، بل اختار اعتماد أسلوب إعادة بناء الثقة من الداخل، كون لوكورتييه يعي جيدا أن أي خطأ في هذا الملف قد يعمّق الفجوة بين البلدين، ولهذا اختار العمل عبر قنوات سياسية وازنة واتصالات دقيقة مع شخصيات نافذة في الرباط وباريس على السواء ترجمتها تصريحاته الصحفية التي أبدى فيها بشكل صريح دعم فرنسا لمبادرة «الحكم الذاتي» بالأقاليم الجنوبية للمغرب قبل إعتراف الاليزيه التاريخي بمغربية الصحراء.

في هذا السياق، مثّلت زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للمغرب في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر سنة 2024، والتي استمرت لثلاثة أيام، لحظة مفصلية في العلاقات الثنائية، بين البلدين، خصوصا حين ألقى الرئيس الفرنسي خطابا تاريخيا أمام البرلمان المغربي بغرفتيه (مجلسي النواب والمستشارين) أكد فيه اعتراف فرنسا بمغربية الصحراء قائلا: «أعيد التأكيد أمامكم، في نظر فرنسا حاضر ومستقبل الصحراء يندرجان في إطار السيادة المغربية»، مشيرا إلى أن الفاعلين الاقتصاديين والشركات الفرنسية سوف يرافقون تنمية الأقاليم الجنوبية للمغرب عبر استثمارات ومبادرات دائمة وتضامنية لصالح سكانها.

وشكلت زيارة كريستوف لوكورتييه،

السفير الفرنسي بالمغرب، إلى الأقاليم الجنوبية للمملكة، التي امتدت ما بين 11 و13 من نونبر 2024، لحظة سياسية مشحونة بالرمزية والدلالات، لا سيما أنها أتت بعد اعتراف تاريخي لفرنسا بمغربية للصحراء، حيث حل لوكورتييه، بمدينة العيون على رأس وفد كبير يضم كبار موظفي السفارة ومسؤولين عن قطاعات التعليم والثقافة والتنمية، إلى جانب خمسين رجل أعمال فرنسيا ضمن بعثة أشرفت عليها غرفة التجارة والصناعة الفرنسية بالمغرب.

في هذه الزيارة، لم يكتف لوكورتييه بجولة بروتوكولية، بل حرص على عقد لقاءات استراتيجية مع شخصيات فاعلة، على رأسها عمدة مدينة العيون حمدي ولد الرشيد ووالي جهة العيون - الساقية الحمراء عبد السلام بكرات، حيث تم تركيز النقاش على سبل التعاون الثنائي في مجالات الاستثمار والتعليم والثقافة، وهي محاور تُعد من ركائز النموذج التنموي الجديد للأقاليم الجنوبية، كما أن الرسالة التي أراد لوكورتييه تمريرها واضحة، كون فرنسا لا تكتفي بالمراقبة، بل ترغب في أن تكون طرفا فاعلا في التنمية المتسارعة التي تشهدها الصحراء، وقد عبّر السفير عن ذلك صراحة حين قال: «كل القوى العامة والخاصة الفرنسية هنا لقياس حجم المشاريع التي تخيلتها المنطقة ضمن النموذج الجديد للتنمية».

وشملت زيارة السفير الفرنسي للأقاليم الجنوبية كذلك مدرسة «بول باسكون» التابعة للشبكة التعليمية الفرنسية في المغرب، وإعلانه عن مشروع إنشاء مقر لـ «الاتحاد الفرنسي» بالصحراء، في خطوة ترمي إلى ترسيخ حضور اللغة والثقافة الفرنسية في الفضاء العمومي المحلي، ومواكبة التوسع العمراني والديمغرافي للمنطقة، الأمر الذي يترجم بداية الانخراط الفعلي لفرنسا في دعم مخطط الحكم الذاتي بالأقاليم الجنوبية بعد التأكيد على أنه الحل الوحيد لنزاع مُفتعل طال أمده.

السفير والعلاقات الاقتصادية

جاء كريستوف لوكورتييه محمّلا كذلك بخبرة اقتصادية ثقيلة اكتسبها عبر مسار طويل على رأس مؤسسات اقتصادية استراتيجية مثل وكالة «أبيي فرانس»، ووكالة «بيزنس فرانس» التي ترأسها حتى عام 2022. هذا البعد الاقتصادي ليس هامشيا في مهمته بالمغرب، بل يشكل أحد أعمدة تحركه لتعزيز العلاقات الفرنسية-المغربية في سياق تنافسي دولي محتدم.

فمنذ وصوله، سعى لوكورتييه إلى إعادة تنشيط الشراكة الاقتصادية الفرنسية المغربية، التي بدت متأثرة ببعض التوترات الدبلوماسية. وقاد جهودًا لتعزيز الحضور الفرنسي في قطاعات حيوية مثل الطاقات المتجددة، التحول الرقمي، الصناعة، والنقل، حيث وقّعت عدة شركات فرنسية اتفاقيات استثمارية بالشراكة مع فاعلين مغاربة، خاصة في مجالات الهيدروجين الأخضر، البنية التحتية، وتموين الصناعات.

كما حرص على مواكبة الفاعلين الاقتصاديين الفرنسيين لدخول السوق المغربية من موقع شراكة وليس وصاية، مؤكدًا في أكثر من لقاء أن فرنسا لم تعد ترى المغرب كامتداد تجاري تقليدي، بل كشريك استراتيجي في إفريقيا وفاعل إقليمي صاعد.

وفي هذا السياق، أطلقت السفارة الفرنسية في الرباط، تحت إشرافه، عدّة مبادرات لتعزيز ريادة الأعمال والتبادل الجامعي المهني، أبرزها برامج دعم الشركات الناشئة المغربية، وتقوية الروابط بين المقاولات الصغيرة والمتوسطة في البلدين. كما شدد في تصريحاته على أن المغرب مؤهل ليكون منصة تصنيع وتصدير نحو أوروبا وإفريقيا معًا، وهو خطاب ينسجم مع توجهات السياسة الصناعية المغربية الجديدة.

> **نتيجة بذله لمجهود كبير في فهم تعقيدات العلاقات بين فرنسا والمغرب ترسخت للسفير كريستوف لوكورتييه مفاهيم جديدة للمستقبل إن أرادت باريس أن تبقى على قنوات مفتوحة مع الرباط، لعلّ أهمها أن تدرك بكل تأكيد، أن التحولات الجيوسياسية الجارية قد قلبت موازين العلاقات التقليدية مع المغرب**

ونتيجة بذله لمجهود كبير في فهم تعقيدات العلاقات بين فرنسا والمغرب ترسخت للسفير كريستوف لوكورتييه مفاهيم جديدة للمستقبل إن أرادت باريس أن تبقى على قنوات مفتوحة مع الرباط، لعلّ أهمها أن تدرك بكل تأكيد، أن التحولات الجيوسياسية الجارية قد قلبت موازين العلاقات التقليدية مع المغرب، ولم تعد الروابط التاريخية وحدها كافية لضمان استمرارية النفوذ، بل باتت المصالح المتبادلة، والوضوح في المواقف، أساسا لأي شراكة مستدامة في السياق الإقليمي والدولي الراهن.

وفي هذا الإطار، مثّل السفير كريستوف لوكورتييه وجها من وجوه المقاربة الفرنسية الجديدة تجاه المغرب، بعدما فهم أن المملكة لم تعد تكتفي بدور الشريك التقليدي، بل باتت قوة صاعدة تنسج تحالفاتها مع قوى كبرى مثل الولايات المتحدة، الصين، وروسيا، وتبني مواقفها انطلاقا من أولويات سيادية في مجالات استراتيجية مثل الدفاع، الطاقة، الصناعة النظيفة، وأمن الفضاء السيبراني، ومشاريع البنية تحتية، ومن هذا المنظور، فإن باريس عبر كريستوف لوكورتييه لا ترى في استمرار حضورها داخل المغرب مجرد امتداد تلقائي لعلاقات تاريخية، بل تتعامل معه اليوم كرهان استراتيجي بالغ الأهمية.

هل من الضروري الانفصال على وليد الركراكي قبل كأس أمم إفريقيا 2025؟

الصحيفة - عمر الشرايبي

في كرة القدم، لا يكفي أن تكون بطلاً في الأمس القريب لتُؤمن مستقبلك في الغد. ومع اقتراب كأس أمم إفريقيا 2025، التي سيحتضنها المغرب في دجنبر المقبل، يعود إلى الواجهة سؤال جريء ومشروع: هل ما زال وليد الركراكي الرجل المناسب لقيادة «الأسود» في الموعد الأهم على أرض الوطن؟

هو سؤال كان سيُعتبر تجديفًا ضد التيار قبل ثلاث سنوات من اليوم، حين قاد الركراكي النخبة الوطنية لإنجاز غير مسبوق في كأس العالم بقطر، لكن كرة القدم لا تحتفظ بالذاكرة طويلًا، بل تُراكم الشكوك بسرعة حين تغيب الهوية ويكثر اللغط لدى الرأي العام المتتبع. الأداء المتذبذب، التردد في اختيارات التشكيلة، توتر العلاقة مع الشارع الكروي.. كلها مؤشرات أعادت فتح النقاش: هل يواصل وليد مهمته حتى «الكان»؟ أم أن الوقت قد حان لتغيير القيادة قبل تحمل مسؤولية المهمة الوطنية؟

محط جدل، خرج من «منطقة الراحة» في جلسة مكاشفة مع الإعلام الوطني، وعبره الأصوات المنتقدة، أصغى لنبض الشارع وأجاب عن التساؤلات المشروعة وغير المشروعة، دافع عن نفسه وحصيلته على رأس العارضة الفنية لـ «الأسود» وقال إنه الأجدر بالإجابة عن السؤال الأكبر الذي يهم مستقبله مع المنتخب الوطني.

سؤال الاستمرار في المهمة الذي وضع له الركراكي نهاية -عن قناعة- يوم خرج المنتخب الوطني من الدور الثاني لكأس أمم إفريقيا في كوت ديفوار، قبل أن يتراجع عن الاستقالة، بعد أن يقنعه فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم أن بقاءه هو جزء من مشروع وطني يهدف إلى تتويج المنتخب الأول بلقب قاري شكل «العقدة» منذ عام 1976.

سؤال الاستمرار.. وليد الركراكي في «مهمة وطنية»

مهمة وطنية. هكذا أريد لمشاركة المنتخب الوطني في كأس أمم إفريقيا المقبلة بالمغرب، أن تكون، حيث تم تجنيد كل الظروف المواتية من أجل توفير المناخ العام السليم للتحضير لهاته المحطة، الهدف من خلالها هو كسر «عقدة» تاريخية امتدت لقرابة نصف قرن من الزمن (49 سنة)، منذ لقب «الكان» الوحيد الذي توجت به الكرة المغربية سنة 1976.

في أعلى الهرم الكروي المغربي، هناك قناعة بأنه لا مجال للفشل مرة أخرى، خاصة وأن الفرصة مواتية للفوز باللقب على أرضنا، وهو مطلب يستدعي وحدة وطنية، ناشد بها فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، وطلب بتوفير الأجواء المناسبة لها، واضعا الثقة في وليد الركراكي لقيادة المركب نحو مرفأ الانتصار.

> **في أعلى الهرم الكروي المغربي، هناك قناعة بأنه لا مجال للفشل مرة أخرى، خاصة وأن الفرصة مواتية للفوز باللقب على أرضنا، وهو مطلب يستدعي وحدة وطنية، ناشد بها فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، وطلب بتوفير الأجواء المناسبة لها، واضعا الثقة في وليد الركراكي لقيادة المركب نحو مرفأ الانتصار.**

نتيجة الفوز هي معادلة الركراكي التي تدافع عنه أمام صكوك الانتقادات، وهو الذي يجلس على «أريكة» أرقام غير مسبوقة في سجلات الناخبين الوطنيين الذين تعاقبوا على المنتخب الأول، حيث لا يخجل وليد في تعداد السلسة الرقمية لمشوار لم يشهد سوى عثرة الخروج من «كان» كوت ديفوار، عدا ذلك لم ير الإطار الوطني طريقا آخر سوى دروب النتائج الإيجابية.

«احكموا على النتائج وليس النوايا». هكذا قال وليد الركراكي لما اجتمع مع بعض ممثلي الإعلام الوطني في جلسة مكاشفة صريحة خلف الأبواب المغلقة لمركب محمد السادس بـ «المعمورة»، لحظة استغلها مدرب الفريق الوطني لتذويب الجليد وتقريب المسافات والرؤى، بعد أن خانه التعبير في أكثر من مناسبة وفتحت أبواب التأويلات لما يصدر من خطاب الركراكي خلال الندوات الصحافية.

استمرار الركراكي حتى «الكان» أصبح أمرا حتميا في إطار مشروع واضح الأهداف، وحتى المعني بالأمر يعي أنه أمام مسؤولية جسيمة لن يستطيع سوى شخصه المتواضع في تحقيقها، على الأقل ذلك ما صرح به في مواجهة المطالبين برحيله خلال هذه الظرفية.

تزكية لقجع، للناخب وليد الركراكي على رأس الفريق الوطني، باعتباره المسؤول الأول عن المنتخبات الوطنية، تمليها قناعات بأنه الشخص المناسب، بمعية طاقمه التقني، خاصة وأنه يعلم طريقة عملهم اليومية داخل مركب «المعمورة»، وهو الذي يأتي بشكل يومي من أجل الوقوف على السير العام للاشتغال.

الانتقادات الفنية.. ماذا يحضر الركراكي لـ «الكان»؟

«لسنا أقوى منتخب إفريقيا من حيث الخيارات البشرية الموجودة والأندية التي يمارس فيها لاعبونا الدوليون حاليا»، معطى واقعي يفرض ذاته على المنتخب الوطني قبل أقل من ستة أشهر عن موعد «كان 2025»، والذي كشف عنه الناخب الوطني نفسه في مائدة النقاش المستديرة مع ممثلي الإعلام.

جاهزية كتيبة «الأسود» للوقوف ندا قويا أمام خصوم «الكان»، تقف أيضا على جاهزية الركائز الأساسية التي يضعها الركراكي في مفكرته، والتي قد لا تخرج بشكل كبير عن هيكل الفريق الوطني الذي خاض نهائيات كأس العالم 2022 بقطر.

شبح الإصابات وغياب الركائز، جعل الركراكي يجرب في كل مرة، ويبحث عن أسماء قادرة على حمل القميص الوطني، بعضها نجح في ذلك وبعضها لم يتمكن من التأقلم، فيما يحتاج البعض الآخر للوقت من أجل كسب الرسمية الدولية في المستقبل.

في غياب ثنائية نايف أكرد وروما سايس، كان الركراكي مضطرا لـ «الابتكار»، آخر الحلول كان الاستنجاد باللاعب أدم ماسينا لشغل مركز وسط الدفاع، نفس الأمر على مستوى التنشيط الهجومي، في غياب صانع ألعاب بقيمة حكيم زياش والخامة الفنية للاعب سفيان بوفال، كانت المحطات المتتالية لمباراة المنتخب الوطني منذ «الكان» الأخير، مناسبة، من أجل الوقوف على قدرة بعض العناصر في حمل المشعل وتكوين الخلف.

حتى الفشل النسبي لبعض الركائز في اختيار أندية ذات تنافسية عالية وتراجع مستوى بعضهم، أثر سلبا على اختيارات الركراكي لنواته الصلبة، وهو الذي يضع 11 حتى 15 لاعبا ضمن أولويات تشكيله الرسمي خلال «الكان» المقبل، مع فتح الباب أمام قاعدة بدلاء قد يشكلون الإضافة المرجوة للمجموعة ككل.

في موضعه كناخب الوطني، يرى الركراكي أنه منح الفرصة للجميع وتعامل مع المعطيات الراهنة بواقعية، حيث إن الانتقادات التي طالته حول الوجه الحالي للمنتخب الوطني، تفرضها أيضا التغييرات الاضطرارية التي أقدم عليها من أجل تشكيل المنتخب الوطني في ظل الأسماء المتاحة أمامه.

لكن، يعلم الركراكي وطاقمه الفني، أنه، في حال توفرت الظروف المثالية، فتشكيلة المنتخب الوطني في لقاء الافتتاح أمام جزر القمر يوم 21 دجنبر القادم، لن تخرج عن دائرة «رجال الثقة»، انطلاقا من أكرد وسايس، مرورا بأمرابط وأوناحي وزياش، لغاية جبهة بوفال والنصيري مع إضافة إبراهيم دياز، نجم ريال مدريد، الملتحق حديثا بالمنظومة.

جسر التواصل قبل الوصول لمحطة دجنبر

يبدو أن الهوة التي تشكلت بين الركراكي وقاعدة كبيرة من الرأي العام الكروي المغربي، مردها إلى أسلوب التواصل الذي ينهجه الناخب الوطني خلال الندوات الصحافية، حيث عادة ما تشكل بعض زلات اللسان حجرة الزاوية التي تبنى عليها بعض الانتقادات لشخصية «الكوتش وليد».

الركراكي الذي تخونه بعض الأحيان لهجته الدارجة في إيصال أفكاره الكروية، يجد نفسه في بعض الأحيان في مرمى الانتقادات رغم أن النتائج تكون إيجابية، وهو ما تحول مع مرور الوقت إلى تباعد في الرؤى بين ما يقوله الناخب الوطني وما نقرأه في الإعلام.

> **قبل محطة «الكان»، يتطلع القائمون على المنتخب الوطني الأول، على رأسهم جامعة الكرة بقيادة فوزي لقجع، إلى توفير جسر تواصلي سليم، يمنح سلاسة وصول المعلومة وتقريب الفريق الوطني من الزخم الشعبي، كما كان الحال في «مونديال» قطر، حيث اشتغل مفعول الكيمياء المشتركة المرتكزة على «نية» الركراكي التي لطالما نادى بها، وانعكس ذلك على المحيط الداخلي لـ «الأسود» والنتائج التي تحققت في «المونديال».**

حتى مزاجية تدوينات مواقع التواصل الاجتماعي وحدة الانتقادات التي توجه ضد الركراكي، انعكست سلبا على توجه بعض الإعلام الرياضي المحلي، والذي كان له أن يغرد داخل نفس السرب المنتقد لمدرب الفريق الوطني، فلم يعد بالإمكان التفرقة بين نقد بناء تابع وآخر هادم.

حتى وليد الركراكي أراد أن يكسر هذا «الروتين» القاتل الذي أصبح يتكرر في كل ظهور له، حيث يتحول النقاش العام إلى «المطالبة برحيل الركراكي» عوض تحليل كروي موضوعي لما ينقص المنتخب الوطني من أجل أن يكون أفضل. «انتقدوني كما شئتم، لكن ليكن نقدكم موضوعيا»، هكذا قال وليد لممثلي الإعلام في جلستهم الحوارية التي دامت أزيد من ثلاث ساعات.

حتى فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، أول من ينتقد مردود المنتخب ويبلغ ذلك للناخب الوطني في جو من المسؤولية بين جامعة تضع نصب أعينها هدف التتويج بـ «الكان» وإطار تقني وطني يتحمل مسؤولية تحقيق ذلك، شريطة التفاف الجميع حول نفس المبتغى.

حضور الركراكي في منصات إعلامية أجنبية للحديث عن المنتخب الوطني، وإن رآه بعض «المنتقدين» على حساب الإعلام والرأي العام المحلي، إلا أن الناخب الوطني لا يتفق مع هذا التصور، ويعتبر أن محطة الندوات الصحافية التي تسبق التجمعات الإعدادية أو بعد المباريات، هي مساحة زمنية كافية لطرح كل الاستفسارات والتساؤلات الممكنة، وأنه بنفسه يطلب فسح المجال أمام الجميع، بغية تنوير الرأي العام بشكل أكبر.

قبل محطة «الكان»، يتطلع القائمون على المنتخب الوطني الأول، على رأسهم جامعة الكرة بقيادة فوزي لقجع، إلى توفير جسر تواصلي سليم، يمنح سلاسة وصول المعلومة وتقريب الفريق الوطني من الزخم الشعبي، كما كان الحال في «مونديال» قطر، حيث اشتغل مفعول الكيمياء المشتركة المرتكزة على «نية» الركراكي التي لطالما نادى بها، وانعكس ذلك على المحيط الداخلي لـ «الأسود» والنتائج التي تحققت في «المونديال».

المائدة المستديرة التي نظمت في «المعمورة» لبنة أولى لمحطات تواصلية أخرى ستعقبها، رسمت الخطوط العريضة للتوجه العام خلال الأشهر القادمة ولطفت الأجواء بين وليد الركراكي والإعلام الوطني، إذ قبل كل شيء فالهدف الأسمى والرغبة الجماعية هي أن نقرأ على صدر الصحف الوطنية والمواقع الالكترونية عنوانا بالبنط العريض «تحقق الحلم.. المنتخب الوطني يتوج بكأس أمم إفريقيا» ليلة 18 يناير 2026 بالرباط.

وليد الركراكي مدرب المنتخب المغربي.

الصحيفة
ASSAHIFA.COM

#assahifa
www.assahifa.com

اكتشف...
النسخة الإنجليزية

#assahifa_english
ASSAHIFA
ENGLISH